بسم الله الرحمن الرحيم

كلمة التحرير

فتاوى مريضة تثير البلبلة

الحمد لله ، والصلاة والسلام على رسول الله — وبعد

فما أعظم الهوة التى تتردى فيها الأمة اذا زل علماؤها • فزلة العالم ليست زلة شخص واحد ولكنها زلة أمة • ذلك لأن الناس عادة يحترمون كلام علمائهم ويحتجون به لاعتقادهم أن العالم لا يتكلم من عند نفسه وانما يصدر فى أقواله عن شرع الله الحكيم •

ويبدو أن بعض علمائنا يتبعون أهواءهم ويعملون للهدم ونشر الانحلال باسم الاسلام • فيأتون الى قضايا بدهية فصل فيها الاسلام فيخضعونها لأهوائهم • أو قل انهم يرفضون أى مظهر من مظاهر السلوك الاسلامى فيعمدون الى تحريف النصوص الثابتة الواضحة لتخدم فكرا انحلاليا •••

من ذلك ما خرج به علينا أحدهم من أصحاب العمائم الكبيرة على صفحات « اللواء الاسلامى » الصادرة يوم ١٦ شعبان ١٤٠٤ الموافق ١٧ مايو ١٩٨٤ حيث قال ان « باروكة » الشعر ليست بحرام وان طلاء الأظفار لا شىء فيه ولا يمنع صحة الوضوء •••

وهذه ليست أول زلة لذلك الشيخ فاننا ما زلنا نذكر له بعض ما أفتى بـــه من قبل • فعندما تكلم عن الموسيقى والغناء والنحت والتصوير لم يكتف باباحتها وانما قال « ان لكل فن من هذه الفنون سندا من أدب الاسلام وشريعة الله » فجعل هذه الأمور من مسلمات

الاسلام رغم أن الاسلام قطع فيها بحكم لا يتسع المجال لتفصيله فى هـذه الكلمة .

وعلى أساس ما تكلم به فى هذه القضية فقد أباح صناعة التماثيل للزعماء والقادة والمصلحين زاعما أن ذلك لا يضر الاسلام والمسلمين فى شىء متجاهلا ما ورد عن رسول الله صلى الله عليـه وسلم من أحكام قاطعة .

كما نذكر كتابه الذى أخرجه منذ عشرين عاما تقريبا يتملق فيه فكرة القومية العربية ويحاول ربطها بالدين . تلك الفكرة التى كانوا يروجون لها لتكون بديلا عن الاسلام وليحاربوا بها الدعوة الى احياء الخلافة الاسلامية .

ونذكر له أيضا دفاعه عن الوثنية حين فلسف أهداف القبوريين فزعم أن الطواف حول أضرحـة الصالحين ليس طواف عبادة ولكنه طواف حب .. مع أنه يعلم علم اليقين أن الناس يطوفون حولها خاشعين ضارعين يطلبون من هؤلاء الموتى قضاء حاجاتهم ويتوسلون بهم . كما أن الطواف باسم الحب شىء لا يعرفه الاسلام .. فلم يثبت عن أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم أنهم طافوا حـول قبره يتوسلون به أو يطلبون منه شيئا مع أنهم كانوا أكثر حبا لرسول الله صلى الله عليه وسلم .

واذا استرسلت بنا الذاكرة فى سلوك ذلك الشيخ تذكرنا ما كان من دعوته الى ما يسمى « رابطة الاخاء الدينى » التى تكونت فى مصر منذ حوالى ستة أعوام وأقيمت لها عـدة فروع فى أنحـاء البلاد . وأهداف هذه الرابطة تشبه الى حد كبير أهداف الماسونية التى تم تصفية أوكارها القديمة فى مصر فبدأت تظهـر بمسميات أخـرى . والماسونية ــ كما يقولون ــ تهدف الى نشر التفاهم والتسامح والمحبة

بين جميع شعوب العالم على اختلاف عقائدهم .. وهـذا يعنى من وجهة نظرهم التحلل من الدين عموما .

ولا ننسى أيضا أنه فى مجال نشر هذا الاخاء وتذويبا للفوارق بين الاسلام وغيره لقب أحد كهان النصارى فى مصر وهـو « الانبا صمويل » بفضيلة الشيخ .. ولقب نفسه « بالأنبا ... »

* * *

وأعود الى فتواه الأخيرة المجددة .. فتوى العصرية والتقدمية .. التى يخدم بها صور الانحلال والفوضى الأخلاقية . يقول الشيخ : « باروكة الشعر ليست بحرام . أما الحديث الذى يحتج به محرم الباروكة (لعن الله الواصلة والمستوصلة) فاننا نقـول لهم : قالت السـيدة عائشة رضى الله عنها : ليست الواصلة والمستوصلة بالتى تفهمون .. ولا بأس أن تحتاج المرأة الى أن تصل شعرها بصوف أو نحوه .. وهذا لا بأس به . وانما أراد رسول الله صلى الله عليه وسلم بالواصلة والمستوصلة المرأة اذا أسنت وكانت مفاحشة فعجزت عن المفاحشة فلجأت الـى جمع الأخلاء بعضهم مع بعض .. فهذه الواصلة وهذه المستوصلة .. وهؤلاء لعنة » انتهى كلام الشيخ .

وأقول : هذا الذى ذكره الشيخ عن الواصلة والمستوصلة ليس بصحيح . اذ أن عائشة رضى الله عنها ـ التى ينسب اليها ما ذكره ـ من رواة حديث الواصلة والمستوصلة كما جـاء فى صحيح البخارى وصحيح مسلم . ومضمون الحديث أن امرأة جاءت الى النبى صلى الله عليه وسلم فقالت يا رسول الله ان لى ابنة عريسا (بضم العين وفتح الراء وكسر الياء المشـددة تصغير عروس) أصابتها حصبة فتمرق شعرها أفأصله ؟ فقال « لعن الله الواصلة والمستوصلة » .

فالرواية واضحة ليس فيها ذلك التأويل الذى ينسب الى عائشة

رضى الله عنها وانما المقصود وصل الشعر فعلا • وكلمة « عريسا » التى وردت فى هذه الرواية تدل على أنها كانت عروسا صغيرة • ورواية أخرى تؤكد ذلك حيث جاءت فيها كلمة « جارية » وهى بمعنى الفتاة الصغيرة • ورواية ثالثة جاء فيها على لسان الأم « فتمرق شعر رأسها وزوجها يستحسنها » وفى بعض نسخ صحيح مسلم « وزوجها يستحثينها » من الحث وهو سرعة الشىء • والذى نفهمه من هذه الروايات أن المرأة تريد أن تزف ابنتها العروس الى زوجها الذى يستعجلها فى ذلك ولكنها ترى شعرها قد تساقط من أثر الحصبة التى مرضت بها فغير من هيئتها فأرادت أن تصله لها حتى تبدو مقبولة أمام زوجها • وبالطبع فان شعرها — سواء وصلته أم لم تصله — لن يكون فتنة للشباب ولا لغيرهم ، لأن المرأة التى تستأذن أو تستفتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فى وصل شعر ابنتها لا بد أن تكون ذات سلوك اسلامى تطبقه على نفسها وعلى ابنتها أيضا • ورغم ذلك نهاها رسول الله صلى الله عليه وسلم ولكنه لم يجعل نهيه حكما خاصا لهذه المرأة وابنتها وانما جعله حكما عاما حين قال « لعن الله الواصلة والمستوصلة » • والواصلة هى التى تصل شعر المرأة بشعر آخر ، والمستوصلة هى التى تطلب من يفعل بها ذلك • وقال العلماء ان هذه الأحاديث صريحة فى تحريم الوصل سواء كان لمعذورة أو عروس أو غيرهما • وقالوا ان وصل الشعر من المعاصى الكبائر للعن فاعله •

وبالطبع تشتد الحرمة بالنسبة للباروكة فى هذه الأيام ، لأن الباروكة اليوم لا تستعمل الا لتزيد فتنة الرجال بالمرأة فتحرك فيهم الشهوات والغرائز • ولن تكون الباروكة لتستر تحت حجاب أو خمار • ومن هنا نتبين خطورة هذه الفتوى وكيف أنها تعمل على دعم التحلل والفوضى الخلقية •

* * *

أما عن حكم طلاء الأظفار فقد قال الشيخ : « الرسول الكريم قال بالنسبة لهذا الحكم لامـرأة دفعت يدها بكتاب : يد رجل أم يد امرأة ؟ قالت : بل يد امرأة يا رسول الله • فقال : لو كانت يد امرأة لغيرت أظافرك • وهنا قال البعض ان المقصود هو تخضيب الأظافر بالحناء •• نعم هو صحيح • لأن الصورة التى كانت موجودة فى ذلك الوقت كانت الحناء • ولو عرف طلاء الأظافر لقال الرسول الكريم أن تغير المرأة أظافرها به •• فطلاء الأظافر لا شىء فيه » ثم يقـول الشيخ بشأن عدم صحة الوضوء مع طلاء الأظفار لعدم وصول الماء للظفر : « مذهب الامام مالك يقول : ليس على الرجل أو المرأة تحريك الخاتم المأذون فيه ليتخلل الماء ما تحته أثناء الوضوء •• فأيهما أحوج الى الماء الجلد أم الظفر •• فاذا صح الوضوء مع عدم وصول الماء الى الجلد تحت الخاتم الضيق فالأجدر أن يصح الوضوء مع طلاء الأظافر حتى لو لم يصل الماء الى الظفر وهذا قياس صحيح • وقولهم لا قياس فى العبادات كلام غير معقول » انتهى كلام الشيخ •

ونقـــول :

أولا ــ قصة المرأة التى دفعت يدها بكتاب الى رســول الله صلى الله عليه وسلم فسألها يد رجل أم يد امرأة ثم قوله لها : لو كانت يد امرأة لغيرت أظافرك ــ هذه القصة لم نقف عليها من قبل ولكن نشك فيها لأسباب :

١ ــ هل كان الرجال يستعملون الحجاب أو النقاب كالنساء حتى لا يستطيع رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يعلم ان كان حامل الكتاب رجلا أو امرأة ؟

٢ ــ عبارة « لو كانت يد امـرأة لغيرت أظافرك » ادعاء على رسول الله صلى الله عليه وسلم لأنه صلوات الله وسلامه عليه لا يخطىء

فى لغة العرب • وكلمة « ظفر » جمعها « أظفار » وليس « أظافر » التى استعملها الشيخ فى عبارته مرارا وأوردها فى هذا الحديث •

٣ ــ نفس هذه العبارة لو صحت عن رسول الله صلى الله عليه وسلم لكان ذلك تأنيبا للمرأة لأنها لم تغير أظفارها • وبذلك يكون الأمر عاما للنساء وتعتبر آثمة من تترك تغيير أظفارها •• وهذا لم يقل به أحد من قبل فيما نعلم •

ثانيا ــ لا أدرى كيف نوفق بين ما قاله الشيخ من صحة الوضوء مع طلاء الأظفار حتى لو لم يصل الماء الى الظفر وبين ما رواه مسلم فى صحيحه عن عمر بن الخطاب رضى الله عنه أن رجلا توضأ فترك موضع ظفر على قدمه فأبصره النبى صلى الله عليه وسلم فقال ارجع فأحسن وضوءك • فرجع ثم صلى •

ثالثا ــ قول الشيخ بأن لا قياس فى العبادات كلام غير معقول عبارة تحتاج الى تصحيح • فالمسألة ليست قضية استعمال العقل أو عدم استعماله وانما هى مسألة أصولية • ولو فتح باب القياس فى العبادات لتغير وجهها كلية ولاستحدث الناس أمورا غريبة فى الاسلام وألصقوها بالدين باسم القياس • واذا كان للقياس مجال فليس فى باب العبادات •

وبعد ــ فما أحرى المجلات الاسلامية أن تبتعد عن نشر هــذه الآراء الغريبة والفتاوى المريضة التى تثير البلبلة فى نفوس الناس نساء ورجالا وتروج للتحلل الخلقى والهدم فى مجتمعات المسلمين • وما أحــرى المجلات الاسلامية أن تلتزم بنشر ما يتفق مع الكتاب والسنة ومنهج السلف الصالح بدلا من هذا التخبط الذى ينشر باسم الاسلام •• والاسلام منه براء حتى وان كان الذى يقول به الشيخ الباقورى هدانا الله واياه •

وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمد وعلى آله وصحبه •

رئيس التحرير

نفحات قرآن

بقلم بخاري أحمد عبده

« يأيها الذين آمنوا كتب عليكم الصيام ، كما كتب على الذين من قبلكم لعلكم تتقون • أياما معدودات فمن كان منكم مريضا أو على سفر فعدة من أيام أخر ، وعلى الذين يطيقونه فدية طعام مسكين ، فمن تطوع خيرا فهو خير له ، وأن تصوموا خير لكم ان كنتم تعلمون• شهر رمضان الذى أنزل فيه القرآن هدى للناس ، وبينات من الهدى والفرقان ، فمن شهد منكم الشهر فليصمه ومن كان مريضا ، أو على سفر فعدة من أيام أخر ، يريد الله بكم اليسر ، ولا يريد بكم العسر ، ولتكملوا العدة ، ولتكبروا الله على ما هداكم ، ولعلكم تشكرون » •

مسسنا فى مقالنا السابق بعض قضايا الصوم مسا مباشرا أردنا به أن نفى بحق المناسبة وأن نقوى الطارق الكريم ، الغريب . رمضان الذى أطل مأخوذا ينكر البلاد ، ويستغرب العباد ، ويستعجل لحظة الرحيل . ولبث فينا مرتاعا ، وانطوى حسيرا يحوقل ، ويسترجع ، ويأسى للأمة المنتهنة ، والعزة المهراقة ، والتاريخ الكاسف الحزين .

وعلمنا — هنـاك — أن آياتنا نبضة من نبضات سورة البقرة التى تزيد الايمان ، وتعلى الأركان وتجلو ، وتنزح ، وتغذو ، وتصنع للمسلمين .

وعجبنا لغفلة المسلمين ، وضيعة العرب ، رغم صفحات الاتهام الدامغ التى ينشرها القرآن ، يكشف بهـا أحزاب الشيطان ، ويجلو قسماتهم ، ويفضح حركاتهم ، وسكناتهم .

ورأينا كيف يدرج المولى بالمسلمين ، وكيف يمهد لهم ، ويهيئهم لنفحـات

رمضان ، ولأعبائه الجسيمة (١) .

مدارج التحرير

تحس وأنت ترتع فى رياض الآيات التى تكتنف آيات الصيام بأرواح الحرية تنبعث فواحة منشطة ، وتشعر بعمليات « فك الارتباط » التى تقوم بها الآيات الكريمة . وتكاد تسمع وقع معاول الحق تحطم الأطواق التى غل بها أهل الكتاب أعناق العرب ، وتكاد تشم أرياح العفن الوبىء والقرآن ينزح مخلفات اليهود ، ورواسب الزيف . ويفرى (٢) آثار غزوهم للأفكار فى عبقرية منقطعة النظير .

وشر ألوان الرق أن تسبيك (٣) شهواتك ، وأن تكبلك أهواؤك ، أن تنسج بيديك القيود وتسلم بنفسك زمامك للنزعات الدنيا وللشيطان فتمسى — منها — وفق المشهد الذى تعرضه آيات سورة « يس » (لقد حق القول على أكثرهم فهم لا يؤمنون . انا جعلنا فى أعناقهم أغلالا فهى الى الأذقان فهم مقمحون . وجعلنا من بين أيديهم سدا ، ومن خلفهم سدا فأغشيناهم فهم لا يبصرون) .

واستمراء الغواية ، واشباع كل رغبات النفس يوهن الارادة ، ويسلم لنير الشيطان (٤) . والاسلام الذى يعمل على تحريرك يرفض أن تبيت عبد الأهواء (أرأيت من اتخذ الهه هواه أفأنت تكون عليه وكيلا ؟ أم تحسب أن أكثرهم يسمعون ، أو يعقلون ؟ ان هم الا كالأنعام بل هم أضل سبيلا) الفرقان .

وتقديرا لأوزار هذا النوع من العبودية أشادت الآثار بجهاد النفس ، وشكمها عن نزعاتها . وارتفعت بمنزلة هذا الجهاد « جهاد النفس » حتى عدته الجهاد الأكبر .

والصوم بكافة أدبياته يحطم أغلال الهوى ويحرر من أصفاد الشيطان وسلاسله . تلك السلاسل التى ترد الى نحر الشيطان — فى رمضان — ليبيت ويصبح مغلولا مدحورا .

والصائم اذا استخلص نفسه من أوضارها ، وحررها من نزعاتها فقد تبوأ قمة يستطيع من عليائها أن يرى فيحكم الرؤية ، وأن يسدد فيصيب السداد .

الصوم اذن — بعد كونه عبادة خالصة — مظهر تحرر ووسيلة الى مزيد من تحرر .

وابرازاً لمعانى الحرية التى تزخر بها شعيرة الصوم جاءت الآيات التى تكتنف آيات الصيام دواعى تحرر ؛

---

(١) راجع الصفحتين الأوليين من مقال عدد رمضان .
(٢) ينزح .
(٣) تأسرك .
(٤) النير : القيد .

ومدارج نحو القمة الشماء التى يتربع عليها الصائم .

فى موكب الحرية

والحديث عن التحرير فى معرض الحديث عن الاسلام ، والصيام ، ليس بدعا ، ولا تكلفا ، وافتعالا . فالعلاقة بين الاسلام والتحرير علاقة وثيقة وبينة . الاسلام أن تسلم وجهك لله ، وتنبذ كل القوى الأرضية التى تتنازعك وتحتويك ، وتتسلط عليك .

والاسلام اذ يأمرك بأن تبرىء وجهتك ، وتطهر بالتوحيد عقيدتك انما يمنعك من أن تتعدد جهات ذلك ، وتطحن بين شركاء متشاكسين «ضرب الله مثلا رجلا فيه شركاء متشاكسون ورجلا سلما لرجل هل يستويان مثلا ، الحمد لله بل أكثرهم لا يعلمون » الزمر .

وهو اذ يحدد لك قبلتك ، واذ يحدو نزعاتك ، وقلبك ، حتى لا يتشعب ويغدو بكل واد شعبة انما يريد أن يجمع شتاتك ، ويحررك من أن تخلد الى الأرض أو تحتبس رهن عنصر الطين الذى يئودك ، ويغلك .

وهو اذ يفرض عليك ، ويستنفرك كى تستبق الخيرات يوثق صلاتك بالله ، ويحكم رباطك حتى لا تكون قلقا تلين لكل لامس ، وتدور مع كل رياح .

والقرآن يحدد لنا رسالة محمد صلى الله عليه وسلم فيذكر خلالا تحمل معانى التحرير — ضمنا — ويعود فينص على التحرير — صراحة — مما يدل على علو كعب قضية التحرير فى الاسلام . ذلك ما تجده حين تتمعن فى مغزى قوله سبحانه:— (الذين يتبعون الرسول النبى الأمى الذى يجدونه مكتوبا عندهم فى التوراة ، والانجيل يأمرهم بالمعروف، وينهاهم عن المنكر ، ويحل لهم الطيبات ، ويحرم عليهم الخبائث ، ويضع عنهم اصرهم ، والاغلال التى كانت عليهم ...) الأعراف ١٥٧

فما أمرنا به ، وما نهينا عنه ، وما أحل من طيبات ، وما حرم من خبائث تتضافر فتصنع انسانا لا يستهويه نداء الحيوان الكامن فى الأعماق ولا يطويه الزبد الذى يتطاير كثيفا من مستنقع الغريزة ، ولا يعميه الدخان الذى يتصاعد خانقا من التقاليد الموروثة والعادات .

ووضع الآصار ، والأغلال تصريح بالأمر من بعد تلميح ، ونص على تضمين التحرير من بعد تضمين « يضع عنهم اصرهم ، والأغلال التى كانت عليهم » .

عبودية النزعة المادية يحطمها الايمان بالغيب

النزعة المادية غل يضم الأعناق الى الأذقان ، ويقمح (١) المرء فيغدو كتمثال شد شدا الى جهة واحدة . وتغلغل النزعة المادية هو الذى يجعل الانسان لا يؤمن الا بالمحسوس الملموس . وتحت وطأة هذه النزعة ضعف الادراك ، ووهى حس اليقين عند كثيرين فاستعظموا أن يعبدوا غير مرئى مدرك بالأبصار ، فأضفوا عظمة المعبود على مواد يصنعونها ، أو صور ينحتونها أو مخلوقات يعظمونها ثم عكفوا على ما صنعوا ، واختلقوا ، وقدسوا . والنزعة المادية هى التى طمست نور الفطرة، وأفسدت على الانسان رؤيته ، ونوعت له الشركاء ، وعددت الآلهة (وان تدعهم الى الهدى لا يسمعوا ، وتراهم ينظرون اليك ،وهم لايبصرون) وهكذا أمسى الانسان عبد هذه النزعة فى دينه ، ودنياه .

وحدا من طغيان هذه النزعة ، واستنقاذا من عبودية المحسوس حتم الاسلام الايمان بالغيب ، وأشاد القرآن بالمؤمنين بالغيب فى آيات جمة أولاها آية البقرة التى جعلت الايمان بالغيب أولى سمات المتقين (ذلك الكتاب لاريب فيه هدى للمتقين الذين يؤمنون بالغيب ، ويقيمون الصلاة ، ومما رزقناهم ينفقون . والذين يؤمنون بما أنزل اليك ، وما أنزل من قبلك وبالآخرة هم يوقنون . أولئك على هدى من ربهم وأولئك هم المفلحون).

فالايمان بالغيب دليل التحرر من أصفاد المادانية . وهو قمة الايمان ، ومظهر الثقة المثلى بكل ما يصدر من الرسول صلى الله عليه وسلم . بل هو الايمان كله لأن خبر السماء غيب كله . يعالج أمورا تنطوى فى دائرة المحجوبات ، أو المعقولات ، أو المحسوسات .

والايمان بالغيب يتجلى أوضح ما يكون الجلاء فى الأميين الأولين . فالغيب بالنسبة لهم غيب مطبق . وبالنسبة لغيرهم — من اللاحقين — غيب استأنس بالأضواء التى عكستها معارف السماء ، والأرض . والقلب الذى يمتلك خاصية الايمان بالغيب قلب مؤهل يطيق أن يقام فوقه صرح الايمان بكل طوابقه وشعبه .

---

(١) أقمح الغل الأسير ضيق الخناق على رأسه بحيث لا تتحرك ولا تنظر الا فى اتجاه واحد ، قال تعالى : — « انا جعلنا فى أعناقهم أغلالا ، فهى الى الأذقان فهم مقمحون » .

وخاصية الايمان بالغيب تختلف فى قوتها من قلب الى قلب . فمن القلوب قلوب تعجز عن الغور والاستيعاب ، وقلوب تستوعب ، وتنفذ الى عمق محدود ثم تلهث . وقلوب تذهب الى نهاية الشوط .

وكلما كان الغيبى أبعد عن التصور، وأدخل فى عالم ما وراء الطبيعة كلما كان المؤمن به أجلى وجدانا ، وأعمق ايمانا . شريطة أن يعتمد ذلك الغيبى على أثر معتمد صحيح .

وممن امتلك خاصية الايمان بالغيب فى أعلى مستوياتها ، الصديق رضى الله عنه . ومن رحاب هذه الخاصية استمد موقفه من قصة الاسراء والمعراج ، ومن كل أخبار السماء .

ولمقام الايمان بالغيب ، ولشدة تأثيره فى شعب الايمان الأخرى ، أشاد رسول الله بالآخرين الذين يؤمنون به ولم يروه ، وعجب (بتشديد الجيم المفتوحة) من ايمان قوم يكونون من بعد ، يجدون صحفا فيها كتاب فيؤمنون بما فيها .

ان تحرير الوجدان بتحتيم الايمان بالغيب ، وتحرير الجنان بعقيدة التوحيد التى تعصمك من أن تذل فتتخذ من دون الله الأرباب (اتخذوا أحبارهم ، ورهبانهم أربابا من دون الله ، والمسيح بن مريم ، وما أمروا الا ليعبدوا الها واحدا لا اله الا هو سبحانه عما يشركون) التوبة ٣١

انهما دعامتا كل الحريات التى يتيحها لك الاسلام الحنيف لتنطلق على أجنحتها نحو قمتك الشماء .

والاخلال بعقيدة التوحيد يورث التخبط ، والشلل ، والزلل الى قاع سحيق (ومن يشرك بالله فكأنما خر من السماء ، فتخطفه الطير ، أو تهوى به الريح فى مكان سحيق) .

واهتزاز الايمان بالغيب ينسف الدين كله ، ويحيل العبد أرضانيا (١) يغوص فى الظلام ، ويعيش فى الحفر مع الديدان .

وظنى أن هاتين الحريتين اللتين تلتئم بهما سائر الحريات المشروعة هما النور الذى من الله علينا به ، وأمرنا أن نكون — باستمرار — الأمة التى تشيع هذا النور وتنشره. والقوة الضاربة التى تذود عنه ، وتمنعه (يريدون أن يطفئوا نور الله بأفواههم ، ويأبى الله الا أن يتم نوره ولو كره الكافرون) التوبة ٣٢

---

(١) نسبة الى أرض تفيد المبالغة.

والمسلمون منذ فرطوا فى أمر التوحيد فأشركوا ، وأذعنوا لغير الله ، وقربوا ، ورجوا ، وخافوا . . . الخ

ومنذ اهتز موقفهم من الغيب فعكفوا على المادة ، وكفروا بغير المعمل ، والمخبر ، والتجربة ... الخ أضحوا مهيض الجناح ، مشلولين ، مخنوقين ، يرتعون دنيا غيرهم بدينهم .

ولست — بهذه الاشارة — أقلل من شأن التجربة ، والمعمل . كيف والاسلام هو الدين الوحيد الذى طوف بك فى الآفاق ، وحلق بك فى الأجواء ، ونفذ بك الى الأغوار ، وجال بك بين ظواهر الكون ، وأغراك بالتحليل ، ولفت نظرك الى الشىء وأبعاضه التى لا تتناهى ، وأوحى اليك — بهذا — أن تتخذ المعمل ، والمجهر ، والمرصد ... الخ ؟

انما أردت ألا يصرفنا عن الله وملكوته ، وعن النفس وأوضارها ، وعن الغيب وأسراره ، وعن الدين وقيمه ، وعن الآخرة ومشاهدها . أردت ألا ننحو منحى المسلم اللوذعى الذى أشرب مقت الاسلام والمسلمين فهو ينب وراء دينه نبيب التيوس(١) . وقلمه لا يسيل ولا يصول الا اذا صوب الى صدر الاسلام والمسلمين . ولكم كتب يتندر بالاسلام ، ويزعم أن حضارته حضارة الكلمة . وأنها حضارة مطحونة تذروها الرياح ، رياح الآلة والتقدم العلمى ، وأن المناداة بالاسلام معناها الارتداد ، والقهقرى ، ومواجهة عصر الآلة بمحصول لفظى . ونادى بضرورة التخلص من حضارة الكلمة (٢) . ومثل هذا الكاتب هو المتمح المغلول بأغلال تضم الى عنقه ذقنه وعضديه ، وقلبه ، ومتنه كله . والاسلام انما جاء ليحرر أمثال هذا من آصار الجاهلية الأولى وهو حرى أن يحرر عبيد الماسونية ، وضحايا المستشرقين ، وصنائع الالحاد والصليبية التى تجد

---

(١) النبيب صوت التيس حين يراود ويصيح . والتيس يصيح أول ما يصيح خلف أمه .

(٢) نشرت جريدة الأهرام — اثر معاهدة كامب دافيد — عدة مقالات بعنوان « مصر ومعركة التحدى الحضارى مع اسرائيل » وأذكر منها ما جاء فى أعداد ٦/٢٤ ، ٦/٢٧ ، ١٩٧٩/٧/١ . واستغلالا للمناخ الذى ساد البلاد وقتئذ ، هب كاتبنا يقرب القرابين راجيا من موالية القبول .

كي تفك الارتباط بين المسلم ودينه ، وقرآنه (١) متوسلة الى ذلك بصدور محمومة ، وأقلام مسمومة تشحن فتبث . وتنفث ، وتعكس أصوات سادتها .

وهؤلاء أسرى مكبلون ، منومون مغناطيسيا . وظنى أن حالة كثير منهم أضحت متأخرة لا تنفعها اشفية . ولا ينقذها طب .. فأشفية الاسلام لا تطب الصدور التى تآكلت وبليت . وأصحابها سواء عليهم أأنذرتهم أم لم تنذرهم (ختم الله على قلوبهم ، وعلى سمعهم وعلى ابصارهم غشاوة ، ولهم عذاب عظيم) البقرة .

والخطورة فى أن موالى هؤلاء المكبلين جلوهم ، وموهوا ظواهرهم، وأضفوا عليهم من بريق الشيطان ثم بوءوهم مواقع تأثير ليقذفوا من فوقها بغازاتهم السامة ويخدعوا . وما يخدعون الا أنفسهم وما يشعرون.

ومن أساليب الموالى أن يثيروا كلابهم فى وقت واحد وذلك :

١ ــ حتى تضيع فى صخب النباح صوت الحق .

٢ ــ وحتى تنطلق قذائفهم من عدة جبهات فيصعب التصدى ، وتعز المواجهة .

٣ ــ لما فى التكرار ، وتعدد المصادر ، ومواصلة القول من أثر نفسى يورث الاقتناع .

٤ ــ وربما ليشغلوا الساحة الاسلامية عن التربية ، والبناء ، ويصرفوا الدعاة عن الجادة المثلى الى الجدل والمهاترة ، والمواجهة التى تستنفد الطاقات (لا يألونكم خبالا ، ودوا ما عنتم ، قد بدت البغضاء من أفواههم . . . . .)

بخارى أحمد عبده

---

(١) فى مجلة الأمة القطرية (عددرجب ١٤٠٤ ــ ابريل ١٩٨٤) حديث عن : لغة القرآن بين مكر الأعداء وحرص الأبناء ، قدم له بما يأتى : مضى أربعة عشر قرنا من الزمان وأعداء الله لم يهدأ لهم بال ، ولن يهدأ وكتاب الله موجود يؤرق نومهم . فالقضاء عليه هو الهدف والأمنية .

هذا ما دفع جلادستون رئيس وزراء بريطانيا الى أن يقول أمام مجلس العموم « مادام القرآن موجودا فلن نستطيع السيطرة على الشرق ، ولا أن نكون فى أمان » أما المبشر تاكلى فيقول : ــ « يجب أن نستخدم القرآن وهو أمضى سلاح فى الاسلام ضد الاسلام نفسه حتى نقضى عليه تماما . يجب أن نبين للمسلمين أن الصحيح فى القرآن ليس جديدا ، وأن الجديد فيه ليس صحيحا » هكذا يريدون استئصال شجرة الاسلام ولكن بأيدى مسلمين .

بَابُ السُّنَّة

يقدمه

فضيلة الشيخ محمد على عبد الرحيم

الرئيس العام للجماعة

حقيقة الزهد

عن أبى العباس سهل بن سعد الساعدى رضى الله عنه قال : جاء رجل الى النبى صلى الله عليه وسلم ، فقال يا رسول الله : دلنى على عمل اذا عملته أحبنى الله وأحبنى الناس . فقال صلى الله عليه وسلم : (ازهد فى الدنيا يحبك الله ، وازهد فيما عند الناس يحبك الناس) رواه ابن ماجه وأصحاب السنن .

تعريف بالراوى

سهل رضى الله عنه له عدة كنى : ففى مسند أحمد جاءت كنيته (أبو مالك سهل بن سعد الساعدى) وفى جامع الأصول لابن الأثير جاءت كنيته (أبو العباس سهل بن سعد الساعدى) وقيل (أبو يحيى سهل بن سعد الساعدى) .

والقول عندى : أن تعدد الكنى جاء من تعدد الأبناء ، حيث كان من أبنائه المشهورين ، العباس ، ومالك ، ويحيى عليهم رحمة الله تعالى .

وكان اسمه قبل الاسلام (حزن) بفتح الحاء والزاى • فسماه النبى صلى الله عليه وسلم (سهلا) •

أبوه صحابى هـو سعد بن مالك بن خالد من ساعدة • فهـو ساعدى خزرجى أنصارى • ومما يشرفه أنـه أسلم صغيرا ، فهو أنصارى ابن أنصارى ، وكان عمره خمسة عشر عاما يوم وفاة النبى صلى الله عليه وسلم •

عاش طويلا ، ومات بالمدينة عام ٩١ من الهجرة عن عمر ناهز ٩٦ عاما •

روى عنه ابنه العباس ١٨٨ حديثا • اتفق البخارى ومسلم على ٢٨ حديثا وانفرد البخارى بأحد عشر حديثا علاوة على المتفق عليه • وما بقى من الأحاديث رواها الامام أحمد وأصحاب السنن •

وكان فقيها من صغره • فهـو ضمن أربعين صحابيا رووا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم المسح على الخفين • كما أنه ضمن الصحابة الثمانية الذين رووا عنه صلى الله عليه وسلم المسح على الجوربين •

معانى المفردات

الزهـد = هو الاعراض عن الشىء احتقارا ، وشرعا هـو الاقتصار على قدر الضرورة مما أحله الله تعالى •

دلنى = علمنى وأرشدنى •

ازهد فى الدنيا = أعرض عنها ، ولا يكن أكبر همك بها ، وأن تحتقر شأنها لتحذير الله منها ، مع العلم بأن محبة الله ومحبة الدنيا لا تجتمعان فى قلب المؤمن لأن القلب لا يتسع للمحبتين •

ازهد فيما عند الناس = لا تسأل الناس ، ولا تطمع فيما فى أيديهم •
يحبك الناس = لأن من نازع شخصا فيما يحب (وخاصة المال) كان مكروها •

المعنى

قال البخارى رحمه الله تعالى : كان أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، أحرص الناس على الخير ، وكان من عادتهم رضى الله عنهم ، أن يسألوا نبى الهدى صلى الله عليه وسلم، عما ينفعهم ويقربهم الى الله عز وجل ، كما أن من شدة خشيتهم من الله سبحانه وتعالى ، أن يسألوه عما يجنبهم عذاب الله وسخطه وغضبه •

وسهل بن سعد رضى الله عنه ، الراوى للحديث ، لم يعين اسم السائل ، ولكنه شهد وسمع • فقال جاء رجل الى النبى صلى الله عليه وسلم ، يسأله عن أمرين جليلين ليكتسب بهما رضا الله تعالى ورضا الناس • ويستهدف من سؤاله أن يقع فى محبة الله ، ويؤثرها على حب الخلق ، لأن حب الله هو الغاية ، اليها يعمل العاملون ، وفيها يتنافس المتنافسون •

ثم أردف سؤاله عن الوسيلة التى بها يحظى بحب الناس أيضا • وهذا أمر لا غبار عليه ، ليجمع بين الحصول على محبة الخالق جل وعلا ، ومحبة الخلق ، الذين يحيا معهم ويعاشرهم •

فعن الشطر الاول من السؤال الموصل الى محبة الله تعالى أخبره النبى صلى الله عليه وسلم . بالقناعة فى الدنيا ، وأن يفرغ قلبه منها ولا يكون قلبه متعلقا بها • لأن الزاهد فيها لا يشغله عن الله شاغل •

وليس معنى الزهد التقشف وترك زينة الحياة الدنيا • قال تعالى : (قل من حرم زينة الله التى أخرج لعباده والطيبات من الرزق) ٣٢ ــ الاعراف • وقال عز وجل (وابتغ فيما آتاك الله الدار

الآخرة ولا تنس نصيبك من الدنيا ، وأحسن كما أحسن الله اليك ، ولا تبغ الفساد فى الارض ، أن الله لا يحب المفسدين) ٧٧ ــ القصص •

والنبى صلى الله عليه وسلم يقول (نعم المال الصالح للعبد الصالح) • والعبد الصالح هو الذى امتلأ قلبه بالقناعة والرضا ، ويحمله صلاحه على جمع المال من الطريق الحلال الذى شرعه الله تعالى ، كما أنه اذا أنفقه فى الوجوه المشروعة التى يثاب عليها ويلتمس بها رضوان الله تبارك وتعالى •

ويتحقق بالزهد فى الدنيا عدة فضائل منها :ــ

١ ــ أن يكون العبد شاكرا لنعم الله تعالى ، قانعا راضيا ولو بالقليل • لأنه بهذه الحالة تمتلىء نفسه بالرضا • لقوله صلى الله عليه وسلم : « ليس الغنى عن كثرة المال والعرض (بفتح العين والراء) ولكن الغنى غنى النفس » وقال تعالى (قل متاع الدنيا قليل ، والآخرة خير لمن اتقى) ٧٧ ــ النساء

٢ ــ ونتيجة ذلك الرضا بقضاء الله وقدره • اعتقادا منه بما ورد عن المعصوم صلى الله عليه وسلم اذ قال « ان الروح الأمين (أى جبريل) ألقى فى روعى (أى قلبى) أنه لن تموت نفس حتى تستوفى رزقها وأجلها » •

وكان من دعوات النبى صلى الله عليه وسلم (اللهم اقسم لنا من خشيتك ما تحول به بيننا وبين معاصيك ، ومن طاعتك ما تبلغنا به جنتك ، ومن اليقين ما تهون به علينا مصائب الدنيا) وهذا يملأ القلب اطمئنانا ، ويكون العبد راغبا فى الثواب لما أصابه فى الدنيا من حرمان •

٣ ــ كما أن القناعة تجعل العبد أوثق بما فى يد الله منه بما فى يده

موقنا بقول العزيز الحكيم (وما من دابة فى الارض الا على الله رزقها ... الآية) هود .

٤ ـ ومن علامات الزهد فى الدنيا : ازدراء العبد لمجيج الناس وذمهم . لأن الاخلاص فى الدين من شأنه أن يتعلق القلب بالله وحده .

والعاقل هو الذى يسقط حب الدنيا من قلبه ، ولا يتعلق الا بما يرفع قدره عند الله تعالى من العمل الصالح . قال تعالى فى مقام ذم الدنيا (كلا بل تحبون العاجلة ، وتذرون الآخرة) . وقال (فأما من طغى وآثر الحياة الدنيا فان الجحيم هى المأوى)

وليس من الاسلام فى شىء أن يتكاسل الانسان عن العمل ، مدعيا أنه زاهد فى الدنيا ، فالتكاسل عن العمل مذموم ، وقد قال عمر رضى الله عنه (لا يقعد أحدكم عن طلب الرزق وهو يقول : اللهم ارزقنى . وقد علم أن السماء لاتمطر ذهبا ولا فضة) . كما أن النبى صلى الله عليه وسلم رغب فى العمل فقال (ان الله يحب العبد المحترف) . وقال عليه الصلاة والسلام (ما أكل أحد طعاما قط خيرا من أن يأكل من عمل يده . وان نبى الله داود عليه السلام كان يأكل من عمل يده) .

وروى أن عمر رضى الله عنه ، رأى رجلا يطيل المكث فى المسجد فسأله : من يطعمك ؟ قال : أخى . قال : أخوك خير منك .

وهؤلاء المتصوفة الذين تعددت طوائفهم حتى أربت على المئين ، يعيش أكثرهم عالة على الناس . فيتناولون الطعام فى بيوت الناس أكثر مما يأكلون فى بيوتهم ، ويعيش قادتهم كلا على الناس ، وخاصة أولئك الدراويش الذين يغررون بهم بدعوى أنهم يعطونهم العهد ، ثم يكون المريد بعد ذلك أسيرا لشيخه ، وتتعدد أكلات الشيخ بعدد المريدين أو يزيد . ويملئون بطونهم من طعام أولى به أبناء المريد ،

الذى يتكلف لشيخه فيملأ بطنه من طعام لم يكسبه بعمل يده ، يدعوى أنه زاهد فى الدنيا • ولكن الزهد يتطلب من العبد أن يكون عفيفا ، فاليد العليا خير من اليد السفلى •

ولم يقف الأمر عند هذا الحد ، بل اذا غابت ولائم الدراويش لمن أعطاهم العهد طالبهم بها • ثم يتبع ذلك من الهدايا والعادات ومنتجات الريف الشىء الكثير • وهذا كله تدليس وتحريف • فالاسلام دين عمل ، فلم يأكل امام من الأئمة الأعلام من مشيخته • بل كلهم كانوا أرباب حرف مقتدين بامام الرسل صلى الله عليه وسلم ، الذى هو على رأس قائمة الزاهدين ، والذى احترف رعى الغنم صغيرا ، ثم احترف التجارة كبيرا ، وبعد ذلك أحل الله له الغنائم لانشغاله بالامامة والقيادة والغزوات • فقال صلى الله عليه وسلم (جعل رزقى تحت ظل رمحى) كما اشتغل أبو بكر بالتجارة ، واشتغل عمر بعد الهجرة بالزراعة ، وعثمان بالتجارة ، وعلى بالصناعة • وهكذا كانوا القدوة الصالحة للأمة • ولكن جاء الخلف بالبدع والخرافات : أكلوا أموال الناس وادعوا أنهم فى الدنيا زاهدون ، وفى محبة الله راغبون ، وللآخرة عاملون • والله يعلم أنهم واهمون • لان اشباع البطون على حساب غيرهم هو عندهم أشد رغبة وأقرب رحما •

ولهذا لما سئل النبى صلى الله عليه وسلم عن العمل الذى اذا عمله العبد يحبه الناس قال (ازهد فيما عند الناس يحبك الناس)

فمن سأل الناس شيئا كرهوه وأبغضوه ، ومن كان ثقيل الظل على الناس طفيليا ، يحب أن يطعم (للبناء للمجهول) ولا يطعم (للبناء للمعلوم) • فهذا لا يقنع ولا يشبع وتتغلب عليه صفة الطمع والأنانية، وما أخذ بسيف الحياء فهو حرام •

ما يستفاد من الحديث الشريف

١ ــ الحث على الرضا والقناعة بما قسم الله تعالى .

٢ ــ النهى عن الجشع والطمع ، والتطلع لما فى أيدى الناس .

٣ ــ الزهد فى الدنيا أمر يوصل الى محبة الله تعالى .

٤ ــ ليس الزهد فى الدنيا التقاعس عن العمل ، ثم البحث عن الطعام عند الغير .

٥ ــ يجب الاقتداء بالرسل الكرام . فهم أزهد الناس فى الدنيا ، ولكنهم كانوا يعملون ويحترفون ويأكلون من كسب أيديهم .

٦ ــ خير الناس من يؤثر ما يبقى على ما يفنى .

٧ ــ وليس من الزهد ترك ما أحل الله تعالى من الطعام ، والطيبات من الرزق ، عملا بقوله تعالى (كلوا واشربوا ولا تسرفوا انه لا يحب المسرفين)

٨ ــ أغلب الخصومات بين الناس أسبابها التصارع على الأموال ، والتكالب على الدنيا . ومن نازع انسانا فيما يحبه كرهه وأبغضه . ولذا قال الحسن البصرى (لا يزال الرجل كريما على الناس حتى يطمع فى دنياهم ، فيستخفون به ويكرهونه) وقيل لأحد أهل البصرة : من سيدكم ؟ قال : الحسن . قال : بم سادكم ؟ . قال : احتجنا لعلمه ، واستغنى عن دنيانا .

فليتعظ من كانت الدنيا أكبر همه ، وليعتبر الدراويش وقادتهم الذين يعيش أكثرهم عالة على الناس .

منحنا الله جميعا محبته ، ووفقنا الى ما يجلب حبه ورضاه .

والله ولى التوفيق

محمد على عبد الرحيم

حوار داخل الأسوار

بقلم . بدوى محمد خير طه

— ١١ —

لقد كانت فترة الاعتقال — رغم مرارتها على النفس — ذات فوائد جمة وآثار عظيمة حيث تعرفت خلالها على نماذج متباينة من الشباب جمعت بينهم جدران السجن وأسوار الأسر وفرقت بينهم الأهواء والافكار والأفهام . ولقد تناولت خلال هذه السلسلة من المقالات بعضا من هذه الأفكار والمعتقدات وكتبت فيها ما دار من حوار مع أصحاب هذه المعتقدات. ولكن مما حز فى نفسى وترك فيها المآ وحسرة ما آل اليه أمر هذه الرسالة الحنيفية التى جاء بها محمد صلى الله عليه وسلم لتكون خاتمة وحى الله الى البشر ومسك الختام لاتصال خبر السماء بالأرض . وخاصة ما يتصل منها بأمور العقيدة والتى كانت محور دعوة الصفوة من خلق الله الى قومهم قبل معالجة الأدواء الأخرى وهى « أن اعبدوا الله ما لكم من اله غيره » . ولولا أن الله جل وعلا تكفل بحفظ رسالة نبيه صلى الله عليه وسلم « انا نحن نزلنا الذكر وانا له لحافظون »، وأنه لولا طائفة من أمة محمد صلى الله عليه وسلم لا تزال ظاهرة على الحق الى يوم الدين لكانت فى خبر كان من جراء ما شاع فى دنيا الناس من الخرافات والأباطيل والأوهام ظنوها من الدين والدين منها براء . وكثيرا ما كان يصيبنى الهم والغم مما أسمع ولكنى كنت أستعيذ بالله من همزات الشياطين وأتذكر وحى الله الى نبيه صلى الله عليه وسلم « فأصبر لحكم ربك ولا تكن كصاحب الحوت اذ نادى وهو مكظوم » فأتأسى به ، وأقرأ قول شعيب عليه السلام لقومه « على الله توكلنا ، ربنا افتح بيننا وبين قومنا بالحق وأنت خير الفاتحين » . وأردد قول مؤمن آل فرعون « فستذكرون ما أقول لكم وأفوض أمرى الى الله . ان الله بصير بالعباد » .

ومن اخطر الخرافات والأباطيل ما كان منها متصلا بقضية الجن ، فهذا يقول ان له قريبا يخلو فى غرفته منفردا لفترات منتظمة ويزعم انه متزوج بجنية تأتيه بين الحين والآخر، وذاك يقول أن جدته كانت ترى الجن وتكلمهم وتتعامل معهم .. الخ هذه الأحاديث الشائعة والمتكررة فى كل مكان . والأغرب من ذلك حين كنت أبدى تعجبا واستنكارا لهذه المعتقدات كان رواتها يخلطون بين

الايمان بالجن لذكرهم فى القرآن الكريم والسنة وبين تصديق ما يتولون كبره من خرافات وأباطيل ، ولكثرة تداولها وشيوعها ظنوها عقيدة عضوا عليها بالنواجذ ، وبذلوا فى سبيل الابقاء عليها كل جهدهم وقوتهم .

ولقد اقترح على بعض الاخوة عقد لقاءات أتناول فيها قضية الجن وما يتصل بها وتفنيد الأفهام الخاطئة فاستحسنت العرض وقلت لعل الله يشرح صدورنا للحق فاستعنت بالله وعقدنا عدة لقاءات تناولت فيها هذا الموضوع مع الرد على ما أثير فيها من غريب الاعتقاد وباطل الأفهام .

وبدأت حديثى فى بيان خصائص عالم الجن من القرآن والسنة المطهرة . وانى لأرجو أن يعذرنى القارىء الكريم لذكرها فى هذا الحوار لانى ذكرتها مجملة موجزة ضمن مقالة عن الجن نشرت بمجلة التوحيد فى عدد جمادى الآخرة عام ١٤٠١ هـ — وذلك لكى لا يضر اغفالها هنا بموضوع الحوار .

قلت : ان هذا الكون بسمائه وارضه يشمل أمورا محسة وأمورا غيبية ، والمحس ما ندركه بحواسنا من بصر وسمع ولمس وشم وتذوق ، وأما الأمور الغيبية فهى كل ما غاب عن هذه الحواس . والغيب نوعان : غيب يراه بعض الناس ويحسونه بينما يخفى على غيرهم باختلاف الزمان والمكان مثال ذلك احداث حدثت فى عصر مضى أو مكان بعيد رآها بعض الناس ولم يرها البعض الآخر لاختلاف الزمان وبعد المسافة. ومع ذلك فهى تعتبر أمورا محسة .

أما النوع الثانى وهو الغيب المطلق وهذا ما لا يعلمه الا الله سبحانه وتعالى « عالم الغيب فلا يظهر على غيبه أحدا » « وعنده مفاتح الغيب لا يعلمها الا هو » « قل لا يعلم من فى السموات والأرض الغيب الا الله» وهذا الغيب لا سبيل لمعرفته الا عن طريق الله سبحانه وتعالى وحيا منزلا على رسوله صلى الله عليه وسلم قرآنا يتلى أو سنة عن النبى صلى الله عليه وسلم عن ربه . وقضية الجن من ذلك الغيب المطلق ولا سبيل الى معرفتها الا من القرآن الكريم أو السنة المطهرة ، وكبديهية للحديث يجب طرح كل ما ورد عن غير هذين المصدرين جانبا لا نعيره اهتماما أو التفاتا ، فماذا يقول لنا وحى السماء عن الجن ؟

الجن خلق من خلق الله مخلوق من النار « وخلق الجان من مارج من نار » « والجان خلقناه من قبل من نار السموم » ، ومن طبيعة غير محسة لنا « انه يراكم هو وقبيله من حيث لا ترونهم » ولهم مجتمعهم الذى يتزاوجون فيه ويتكاثرون ، مكلفون مثل البشر تماما بالايمان برسالات السماء الى الرسل عليهم الصلاة والسلام « قلنا اهبطوا منها جميعا فاما يأتينكم منى هدى فمن تبع هداى فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون » والكافر منهم يعذب فى النار مثل البشر تماما « فمن أسلم فأولئك تحروا رشدا ، وأما القاسطون فكانوا لجهنم حطبا » . والرسول صلى الله عليه وسلم أرسل اليهم كما أرسل للبشر كسائر بقية الرسل « قل أوحى الى انه استمع نفر من

الجن فقالوا انا سمعنا قرآنا عجبا . يهدى الى الرشد فآمنا به ولن نشرك بربنا أحدا » .

وكانوا يعلمون مضمون الرسالات السابقة على بعثة محمد صلى الله عليه وسلم « واذ صرفنا اليك نفرا من الجن يستمعون القرآن ، فلما حضروه قالوا أنصتوا ، فلما قضى ولوا الى قومهم منذرين . قالوا يا قومنا انا سمعنا كتابا أنزل من بعد موسى مصدقا لما بين يديه يهدى الى الحق والى طريق مستقيم . يا قومنا أجيبوا داعى الله وآمنوا به » .

ونلاحظ من هذه الآيات أمرين : الأمر الأول عدم ذكر رسالة عيسى عليه السلام فى مقولة الجن لانه جاء يدعو برسالة موسى عليه السلام ومخففا من بعض القيود والتشديد على بنى اسرائيل وذلك قول الحق سبحانه على لسان عيسى عليه السلام « ومصدقا لما بين يدى من التوراة ولأحل لكم بعض الذى حرم عليكم » وقوله تعالى « الذين يتبعون الرسول النبى الأمى الذى يجدونه مكتوبا عندهم فى التوراة والانجيل يأمرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر ويحل لهم الطيبات ويحرم عليهم الخبائث ويضع عنهم آصرهم والأغلال التى كانت عليهم » ومن هذه الآية الأخيرة كانت رسالة محمد صلى الله عليه وسلم رافعة لما بقى عليهم من حرج وأغلال .

والأمر الثانى : من خصائص الجن انه كان منهم فريق مكلف بالأمر بالمعروف والنهى عن المنكر والدعوة الى الله على ضوء ماانزل على الرسل كما امرنا ربنا تبارك وتعالى بذلك « ولتكن منكم أمة يدعون الى الخير ويأمرون بالمعروف » وقوله تعالى « فلولا نفر من كل فرقة منهم طائفة ليتفقهوا فى الدين ولينذروا قومهم اذا رجعوا اليهم لعلهم يحذرون » .

ومن خصائصهم انه كان فيهم سفهاء قالوا على الله بغير علم وحرفوا رسالات السماء وشاع فى مجتمعاتهم ما شاع فى الأمم السابقة كزعم المشركين بأن لله زوجة من الجن انجبت له بنات هن الملائكة وكزعم اليهود بأن العزير هو ابن الله وكزعم النصارى بأن عيسى هو ابن الله « سبحان ربك رب العزة عما يصفون » . وكان فيهم اغبياء ومغفلون صدقوا بما كان يقوله السفهاء واحسنوا النية بزعمائهم « وانا ظننا أن لن تقول الانس والجن على الله كذبا » وشاع فيهم كما شاع فى أوساط الكفار عدم البعث بعد الموت فقال الكفار « ان هى الا موتتنا الأولى وما نحن بمنشرين » . وقالت الجن « وأنهم ظنوا كما ظننتم أن لن يبعث الله أحدا » . وكانوا قبل بعثة محمد صلى الله عليه وسلم يسترقون السمع فى الملأ الأعلى ويسمعون من الملائكة المكلفين بتنفيذ أمر الله بعضا مما سيحدث من أحداث يوحونها فى قلوب أوليائهم فلما بعث محمد صلى الله عليه وسلم تغير الحال ورصد الله لكل جنى متسمع شهابا يحرقه

غاب عنهم خبر السماء وانقطع عنهم ما كانوا يعلمونه من بعض الغيب نتيجة لاستراقهم السمع من الملائكة. « وأنا لمسنا السماء فوجدناها ملئت حرسا شديدا وشهبا . وأنا كنا نقعد منها مقاعد للسمع فمن يستمع الآن يجد له شهابا رصدا »«ولقدزينا السماء الدنيا بمصابيح وجعلناها رجوما للشياطين » « انا زينا السماء الدنيا بزينة الكواكب ، وحفظا من كل شيطان مارد ، لا يسمعون الى الملا الأعلى ويقذفون من كل جانب دحورا ولهم عذاب واصب الا من خطف الخطفة فأتبعه شهاب ثاقب».

تفرقت بهم الأهواء والمشارب والسبل وكونوا طرقا متعددة ولكل طريقة شيخ كشأن الطرق الصوفية وغيرها فى دنيا البشر « وأنا منا الصالحون ومنا دون ذلك كنا طرائق قددا » .

وهم مطالبون بالايمان بالله وبالبعث والحساب والجنة والنار وما فيهما من ثواب وعقاب . ومنهم من آمن ومنهم من كفر « وأنا لما سمعنا الهدى آمنا به ، فمن يؤمن بربه فلا يخاف بخسا ولا رهقا ، وأنا منا المسلمون ومنا القاسطون ، فمن أسلم فأولئك تحروا رشدا ، وأما القاسطون فكانوا لجهنم حطبا » « ومن يعرض عن ذكر ربه يسلكه عذابا صعدا » « يا قومنا أجيبوا داعى الله وآمنوا به يغفر لكم من ذنوبكم ويجركم من عذاب أليم » . وفى سورة الرحمن يخاطب الحق تبارك وتعالى الجن والانس «فيومئذ لا يسأل عن ذنبه انس ولا جان » « هذه جهنم التى يكذب بها المجرمون، يطوفون بينها وبين حميم آن » « ولمن خاف مقام ربه جنتان » « ومن دونهما جنتان » كما أن للمؤمنين من الجن زوجات من الحور العين يوم القيامة « فيهن قاصرات الطرف لم يطمثهن انس قبلهم ولا جان » .

والجن لا يعلمون الغيب كشأن سائر البشر وذلك باعترافهم انفسهم وعلى لسانهم « وأنا لا ندرى أشر اريد بمن فى الأرض أم أراد بهم ربهم رشدا » وفى قصة سليمان عليه السلام يظهر ذلك واضحا جليا حيث سخر الله له الجن وكان يكلفهم بالأعمال الشاقة وقضى عليه الله الموت ومكث زمنا وهو ميت مستندا الى عصاه حتى أكلت الأرضة عصاه فثقل عليها الجثمان وخر على الأرض ولم يعلموا بموته الا عند سقوطه . ويصور لنا الحق سبحانه تلك الصورة تصويرا بليغا فى القرآن الكريم «فلما قضينا عليه الموت ما دلهم على موته الا دابة الأرض تأكل منسأته ، فلما خر تبينت الجن أن لو كانوا يعلمون الغيب ما لبثوا فى العذاب المهين » .

وذلك برهان ساطع على عدم معرفتهم الغيب وما حدث لسليمان ولولا جهلهم بالغيب ما مكثوا من وقت موته الى أن خر على الأرض وهم يقومون بتلك الأعمال الشاقة ظنا منهم أنه مازال حيا .

والى لقاء آخر باذن الله نستكمل بقية الحوار .

بدوى محمد خير طه

جماعة انصار السنة المحمدية بدراو

قصة نوح عليه السلام
وما فيها من المواعظ والعبر

بقلم : على معنى إبراهيم

— ١ —

اذا كان بعض العلماء يقول ان القرآن ثلاثة مقاصد رئيسية : مقصد تحدث فيه القرآن عما لله من صفات الجلال والكمال ، ومقصد حدد فيه القرآن ما أحل الله وما حرم وحدد فيه منهج العبادة ، ومقصد ثالث قص الله علينا فيه قصص المرسلين السابقين والذى عرفنا من خلاله سنن الله فى خلقه حيث تولى الله أمر من آمن بالله ورسله صلوات الله وسلامه عليهم فنصرهم وأيدهم وهداهم ومكن لهم فى الأرض ثم لهم الحسنى فى الآخرة . وأن من كفر بالله ورسله يحل عليه غضب الله فى الدنيا ولهم فى الآخرة سوء العذاب . وهنا أريد أن أتحدث معك أيها القارىء الكريم عن المقصد الأخير وهو القصص فى القرآن . وأبدأ معك بقصة نبى الله نوح عليه وعلى جميع اخوانه من الأنبياء والمرسلين أزكى الصلاة وأتم التسليم . لما فى هذه القصة من التوجيه الدينى والتربية الاجتماعية والاخلاق الحسنة والمنافع التى تفوق الحصر .

والحق أن ما حدث مع نبى الله نوح عليه السلام هو نوع مما يحدث مع كل رسول جاء بعده وأن الأسباب التى أدت الى ارساله هى نفس الأسباب التى من أجلها بعث الله المرسلين عليهم الصلاة والسلام حيث قد انتشر الفساد العقائدى والفساد فى الاخلاق والمعاملات . كذلك تعرفنا قصة نوح عليه السلام مدى ما كان يتمتع به المرسلون من خلق فاضل وصبر على البلاء بلا حدود وحرص على بلوغ الدعوة الى الناس وقوة الاقناع واقامة البراهين حتى تقوم الحجة على الخلق فيهتدى من يهتدى عن علم ويضل من يضل عن علم .

وقد ذكر الله قصة نوح عليه السلام فى عشر سور من سور القرآن هى الأعراف ، يونس ، هود ، الأنبياء ، المؤمنون ، الشعراء ،

العنكبوت ، الصافات ، القمر ، نوح ، الى كثير مما ورد ذكره فى بعض السور حتى بلغ ذكره فى القرآن أكثر من أربعين مرة .

وقد ورد عن ابن عباس رضى الله عنهما أنه كان بين آدم ونوح عشرة قرون كلهم على الاسلام . وكونهم كانوا على الاسلام هـذا ما سوف نتناوله فى مقال آخر ان شاء الله . ونوح عليه السلام هو أول رسول بعثه الله لما روى البخارى فى حديث الشفاعة من حديث أبى هريرة أن النبى صلى الله عليه وسلم قال : فيأتون نوحا فيقولون أنت أول الرسل الى أهل الأرض وسماك الله عبدا شكوراً أما ترى الى ما نحن فيه ألا ترى ما بلغنا ألا تشفع لنا الى ربك ... الحديث .

وقد روى البخارى فى كتاب التفسير من صحيحه من حديث عبد الله ابن عباس رضى الله عنهما فى (ود وسواع ويغوث ويعوق ونسر) قال أسماء رجال صالحين من قوم نوح فلما هلكوا أوحى الشيطان الى قومهم أن انصبوا الى مجالسهم التى كانوا يجلسون أنصابا وسموها بأسمائهم ففعلوا . فلم تعبد حتى اذا هلك أولئك ونسخ العلم عبدت . وهنا لب القضية وأصل الداء حيث وقع فى الناس أبغض ما حرم الله وأشده نكارة وهو الشرك بالله . وهنا نحب أن نقف وقفتين : الأولى — كان بين آدم ونوح عشرة قرون كما قال ابن عباس رضى الله عنهما وقد وقع من الناس خلالها كثير من المعاصى صغيرها وكبيرها مثل الحسـد والبغضاء والشحناء حتى لقد وصل الأمر الى حد القتل حيث قتل قابيل هابيل الذين ذكر الله قصتهما فى سورة المائدة من الآية ٢٧ الى ٣١ والتى بدأها قولـه تعالى : واتل عليهم نبأ ابنى آدم بالحق اذ قربا قربانا فتقبل من أحدهما ولم يتقبل من الآخر ... الخ . ومع ذلك لم تكن الحاجة ماسة الى ارسال الرسل لاقتلاع هذه الأدواء حيث كـان المصلحون من بنى آدم يقومون فى الناس بالنصح والارشاد وتوجيههم الى الفطرة السليمة التى فطر الله الناس عليها والتى على غرارها وعند صفائها يعرف الانسان الحسن من القبيح والمعروف من المنكر . ومن بين هؤلاء المصلحين ود وسواع ويغوث ويعوق ونسر وكـان الناس يتناصحون بنصحهم ويسترشدون بتعاليمهم . ووثق

الناس بهم • فلما ماتوا تسلط الشيطان على الناس من خلال فرط حبهم لهم فأوعز اليهم باتخاذهم وسطاء بينهم وبين الله يسألون الله من خلالهم وقد نصبوا لهم أنصابا فى مجالسهم ورسموا صورهم حسب غواية الشيطان لهم قال ابن عباس رضى الله عنهما وهنا وقعت الجريمة التى لا تغتفر وهى الشرك بالله وسوء الظن به سبحانه وانتقاص شأنه جل جلاله ووصفه بما لا يليق به جل وعلا • وهنا جاء دور الرسل صلوات الله وسلامه عليهم •

ولسنا بهذا نقلل من خطر المعاصى وانما نبرز الحقائق التاريخية التى خفيت على كثير من الناس الذين يقولون لنا بين حين وآخر : حدثوا الناس عن المعاصى أولا مثل الخمر والفحشاء والميسر والغيبة والنميمة الخ ثم بعد ذلك حدثوهم عن اصلاح العقائد • وهـذا هو الخطأ فى التبليغ بل هـو الخطر على الدين اذ المعاصى يستنكرها الانسان بطبعه • ثم ان كلمة الله فى النهى عنها بالضرورة أن تصادف قلبا سليما مستعداً لتقبلها والعمل بها وكيف يتم ذلك والقلب ملوث بالشرك ؟ هذا محال • ومن هنا نعرف لماذا ظل النبى صلى الله عليه وسلم يدعو الناس قرابة عشر سنين الى التوحيد ونبذ الشرك دون أن يؤمر خلالها بالعبادات • وكانت أول العبادات فرضا هى الصلاة • وقد كان فرضها فى ليلة الاسراء والمعراج • اذ لا يمكن أن يقبل الله عمل انسان الا اذا تطهر من الشرك بالله • بل ان الله سبحانه قد رد نبيه موسى الى بنى اسرائيل وقطع عنه كلامه عندما اتخذ بنو اسرائيل العجل الها • وهذا الكلام تقرؤه فى سـورة طه • كذلك فان مرتكب المعاصى لا يقول بأنها حلال فلو سألت شارب الخمر أو السارق أو المغتاب والنمام فانه لا يقول ان الله قد أحلها بل يقول أسأل الله أن يتوب علينا ويغنينا من فضله • على عكس من جهل التوحيد والشرك وبحكم الوراثة يرتكب جريمة الشرك وهو يعتقد انه حق ثم يدافع عنه ويجادل عنه فوجب أن تكون الدعوة حسب النظام والسنة الالهية بحيث يبدأ الداعى بالدعوة الى التوحيد ونبذ الشرك أولا مع الدعوة الى وجوب الانتهاء عن المعصية وامتثال أوامر الله ونواهيه •

والوقفة الثانية : معرفة نوع الشرك الذى كان عليه قوم نوح عليه السلام • كانت الآلهة قوما صالحين كما علمنا من سياق ابن عباس رضى الله عنهما لهذه القصة • ويماثلها ما جاء فى صحيح البخارى من حديث ابن عباس أيضا عن اللات والعزى قال كان اللات رجلا يلت سويق الحاج • يعنى كان رجلا كريما يصنع نوعا من الطعام ويقدمه لحجاج بيت الله الحرام قبل بعثة محمد صلى الله عليه وسلم حتى اذا مات عكفوا على قبره بغية التأسى به فى أعماله الصالحة ثم اتخذوه الها وعبده الناس من دون الله • ونفس الشىء حدث للعزى ومناة وهبل أكبر الأصنام حيث دعاهم الناس واستشفعوا بهم لدى الله سبحانه بغية التقرب الى الله عن طريقهم وقالوا ما بينه القرآن عن هذه القضية (ما نعبدهم الا ليقربونا الى الله زلفى) لاحساس الناس أنهم بعيدون عن الله بذنوبهم وأنهم لكى يقبلهم الله يجب أن يسوقوا اليه أحد المقربين عنده • وهذا نفس الشىء الذى عليه جهلة قومنا هدانا الله واياهم حيث اتخذوا قبور الصالحين مساجد وأماكن عبادة تبركا بصاحب القبر • وهو نفس الشىء الذى نهى عنه الاسلام • ففى صحيح البخارى عن عائشة رضى الله عنها قالت قال النبى صلى الله عليه وسلم فى مرضه الذى لم يقم منه : لعن الله اليهود والنصارى اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد • قالت يحذر ما صنعوا • كما روى البخارى ومسلم وغيرهم من أصحاب المسانيد والسنن أحاديث عدة يضيق المقام بحصرها تنهى الناس عن اتخاذ المساجد على القبور حتى لقد قال الامام أحمد رضى الله عنه : لا يكون قبر ومسجد ، اذا وجد أحدهما يزول الآخر • وتأخذنا الدهشة عندما نجد عالما من العلماء ـ وهم لا شك يعلمون هذه الاحاديث ـ يتقدم الصفوف عند اقامة الموالد للموتى ويلقى محاضرات ويقيم الصلاة ويؤم الناس فى الصلاة فى المساجد التى فيها القبور حتى اذا رآهم العامة احتجوا بهم على ما هم عليه من الجاهلية • اللهم نشكو اليك مما فعل قومنا ونبرأ اليك من كل باطل • والله ولى التوفيق

يتبع ان شاء الله **على حفنى ابراهيم**

نحن قدرنا بينكم الموت

بقلم/ أحمد طه نصر

خلق الله الانسان وأفاض عليه الحياة وأحكم أمره وأعذر اليه فهداه النجدين . وأرسل النبيين بالهداية والسلامة واغتنام الدنيا فى حياة يسودها الايمان والعمل الصالح . ثم تفارقه الحياة حيناً بالموت . حيث تطوى صفحته ويتوقف رصيده الا من آثار خلفها أراد بها وجه الله وحده. وقد جاء ذلك عن النبى صلى الله عليه وسلم من حديث مسلم (اذا مات ابن آدم انقطع عمله الا من ثلاث : ولد صالح يدعو له ، وعلم ينتفع به ، وصدقة جارية) ثم تعود الحياة وفق مشيئة الله سبحانه بالبعث والنشور .

فالموت سنة الله فى الخلق جميعاً . وهو سكون النفس ومفارقة الروح للجسد وعودتها الى بارئها . ثم قبر وبرزخ هو أول منزلة من منازل الآخرة . ولن تموت نفس حتى تستكمل أجلها ورزقها . ويقسم صلى الله عليه وسلم « والله لتموتن كما تنامون ولتبعثن كما تستيقظون».

انه سبحانه المتصرف فى الوجود بما يشاء . وانه يتوفى الأنفس الوفاة الكبرى بما يرسل من الحفظة الذين يقبضونها من الأبدان . وهناك وفاة صغرى عند النوم — تذكرة لأولى الألباب — جاء ذلك فى قوله تعالى « الله يتوفى الأنفس حين موتها والتى لم تمت فى منامها . فيمسك التى قضى عليها الموت ويرسل الأخرى الى أجل مسمى . ان فى ذلك لآيات لقوم يتفكرون » ومن حديث الصحيحين أمر النبى صلى الله عليه وسلم لكل مؤمن اذا أوى الى فراشه أن يقول : باسمك الله ربى وضعت جنبى . وباسمك أرفعه . ان أمسكت نفسى فارحمها .وان أرسلتها فاحفظها بما تحفظ به الصالحين » واذا استيقظ يقول « الحمد لله الذى أحيانا بعد ما أماتنا واليه النشور » وآيات أخرى تبين ما وراء الموت منها قوله تعالى « وهو الذى يتوفاكم بالليل ويعلم ما جرحتم بالنهار ثم يبعثكم فيه ليقضى أجل مسمى ثم اليه مرجعكم ثم ينبئكم بما كنتم تعملون . وهو القاهر فوق عباده ويرسل عليكم حفظة حتى اذا جاء أحدكم الموت توفته رسلنا وهم لا يفرطون . ثم ردوا الى الله مولاهم الحق الا له الحكم وهو أسرع الحاسبين » ولذلك يأمرنا سبحانه بقوله « ولا تموتن الا وأنتم مسلمون» أى أحسنو العمل فى حال الحياة والزموا تقوى الله عز وجل ليرزقكم الوفاة عليه فان المرء يموت غالباً على ما كان عليه . ويبعث على ما مات عليه . وقد أجرى الله سنته بأن

من قصد الخير وفق له ، ومن نوى صالحاً ثبت عليه ، بعون منه سبحانه .

وقد ذكر الكتاب الكريم مشهداً لجلال الموت — ساعة مهيبة — تتجلى فيها قدرة الله المالك الذى له الأمر من قبل ومن بعد ويومئذ يفرح المؤمنون بلقاء الله « فلولا اذا بلغت الحلقوم وانتم حينئذ تنظرون . ونحن اقرب اليه منكم ولكن لا تبصرون . فلولا ان كنتم غير مدينين — أى تدانون وتبعثون وتجزون — ان كنتم غير ذلك فردوا هذه النفس — ترجعونها ان كنتم صادقين » .

فالمؤمن يسلم أمره لله باليقين . فان له ما أخذ وله ما أعطى . وغير المؤمن لا يسعه الا العجز والقهر . ومع ضوء الآيات فكل انسان يتلقى ويدرك ساعتها أى مصير ينتظره وأى منزلة أعدها الله له . انه قرآن ربى أنزله هدى وشفاء .

وجاء مشهد آخر : تجمع وتلهف وانفاق ودواء وطبيب لدفع غائلة الموت . لكن الجميع يتيقنون النهاية المحتومة . ولكن المشهد يختم بأكثر من ذلك الى أين ؟ « كلا اذا بلغت التراقى وقيل من راق . وظن انه الفراق . والتفت الساق بالساق الى ربك يومئذ المساق » .

ثم جاءت آيات سورة آل عمران بقواعد الايمان الراسخة فى هذا المجال . بدأها سبحانه بذكر شأن الموت ومع النبى محمد صلى الله عليه وسلم — صفوة الله من خلقه — مذكراً المؤمنين أنه قد بلغ وأدى ودعا الى الله فلم الغفلة . وماذا لو وافاه الأجل ؟ أوليس بشراً وان كان خيرهم ، وبين أيديكم رسالته ، وفيها هدف الحياة وزاد الآخرة ؟ « وما محمد الا رسول قد خلت من قبله الرسل . أفان مات أو قتل انقلبتم على أعقابكم . ومن ينقلب على عقبيه فلن يضر الله شيئاً . وسيجزى الله الشاكرين » وتمضى الآيات لتعود محذرة المؤمنين من متابعة الذين كفروا وضنوا بأنفسهم عن الايمان والجهاد والسعى فى الأرض لعمارتها واصلاحها ، وظنوا أن النكوث عن الحق يطيل من أعمارهم وخاب أملهم « يأيها الذين آمنوا لا تكونوا كالذين كفروا وقالوا لاخوانهم اذا ضربوا فى الأرض أو أو كانوا غزى لو كانوا عندنا ما ماتوا وما قتلوا ليجعل الله ذلك حسرة فى قلوبهم والله يحيى ويميت . والله بما تعملون بصير . ولئن قتلتم فى سبيل الله أو متم لمغفرة من الله ورحمة خير مما يجمعون . ولئن متم أو قتلتم لالى الله تحشرون » ثم تقرر الآيات — وهى تعنى المنافقين المرتابين — أنهم بهذا القعود أقرب للكفر منهم للايمان . ثم تسخر منهم « الذين قالوا لاخوانهم وقعدوا لو أطاعونا ما قتلوا . قل فادرءوا عن أنفسكم الموت ان كنتم صادقين » .

ومسك الختام فى هذه الآيات بشرى بالخير والأمن والنعيم المقيم والرضوان من الله الكريم «ولا تحسبن الذين قتلوا فى سبيل الله أمواتا . بل أحياء عند ربهم يرزقون . فرحين

بما آتاهم الله من فضله ويستبشرون بالذين لم يلحقوا بهم من خلفهم الا خوف عليهم ولا هم يحزنون . يستبشرون بنعمة من الله وفضل وأن الله لا يضيع أجر المؤمنين » وقد أوضح النبى صلى الله عليه وسلم هذه الآيات ، وأن شأن هؤلاء المؤمنين الذين استجابوا لله وجاهدوا مع رسوله شأن كبير لا يقف عند حد الموت أو القتل . ولكن لهم حياة عند الله فى دار جزائه أعظم وأجل من هذه الحياة الدنيا . ذلك ما رواه البخارى من أن أرواحهم فى حواصل طيور خضر تسرح فى رياض الجنة حيث شاءت ثم تأوى الى قناديل معلقة تحت العرش . أما بقية المؤمنين فقد روى مالك وأحمد قوله صلى الله عليه وسلم (انما نسمة المؤمن طائر يعلق فى شجر الجنة حتى يرجعه الله الى جسده يوم يبعثه) ومع الشهداء وقد تمنوا على الله أن يرجعهم الى الدنيا ليقتلوا عدة مرات ، لما رأوا من الفضل العظيم. فقال لهم الكريم «كتبت أن لا يرجعوا» فتمنوا أن يبشروا اخوانهم الذين لم يلحقوا بهم بما صاروا اليه من نعيم. فقال سبحانه (أنا أبشرهم) ونزلت الآيات . جمعنا الله بهم فى مستقر رحمته .

ولا يفوتنى التحذير من جهل الكثيرين وفتنتهم باعتقادهم فى أوليائهم وشفعائهم أنهم أحياء . وزين لهم الشيطان أعمالهم فذهبوا يدعونهم من دون الله ويتوجهون اليهم بما لا يكون الا لله وحده الحى القيوم . والقرآن ينادى (والذين يدعون من دون الله لا يخلقون شيئاً وهم يخلقون . أموات غير أحياء وما يشعرون أيان يبعثون . الهكم اله واحد فالذين لا يؤمنون بالآخرة قلوبهم منكرة وهم مستكبرون) (ومن أضل ممن يدعو من دون الله من لا يستجيب له الى يوم القيامة وهم عن دعائهم غافلون. واذا حشر الناس كانوا لهم أعداء وكانوا بعبادتهم كافرين) .

الموت كره للنفس — باستثناء المؤمنين المخلصين — ولذلك تقرر الآيات « قل ان الموت الذى تفرون منه فانه ملاقيكم » أى يتعقبكم — أينما اتجهتم فهو يرصدكم . وقوله « أينما تكونوا يدرككم الموت ولو كنتم فى بروج مشيدة » ومن حديث الامام أحمد قوله صلى الله عليه وسلم « من أحب لقاء الله أحب الله لقاءه. ومن كره لقاء الله كره الله لقاءه» .

وفى الكتاب المبين رد على أمانى اليهود الكاذبة ومن سلك سبيلهم أن لهم الآخرة وما فيها من نعيم رغم ما ارتكبوه من فساد واعتداء ومخالفة لشرائع الله عن عمد « قل ان كانت لكم الدار الآخرة عند الله خالصة من دون الناس فتمنوا الموت ان كنتم صادقين . ولن يتمنوه أبداً بما قدمت أيديهم . والله عليم بالظالمين » ودفع الأمانى عام للجميع « ليس بأمانيكم ولا أمانى أهل الكتاب . من يعمل سوءاً يجز به ولا يجد له من دون الله ولياً ولا نصيراً . ومن يعمل من الصالحات من ذكر أو أنثى وهو مؤمن فأولئك يدخلون الجنة ولا يظلمون نقيراً » .

وفى الكتاب أيضا صور وضيئة

للقدوة والتأسى جاءت على لسان أنبياء الله أئمة الهدى صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين « ووصى بها ابراهيم بنيه ويعقوب . يا بنى ان الله اصطفى لكم الدين فلا تموتن الا وأنتم مسلمون » ويوسف عليه السلام فى مقام ذكر نعم الله والثناء عليه وأنه يرجو تمام النعمة بهذه الخاتمة « أنت ولىى فى الدنيا والآخرة توفنى مسلماً وألحقنى بالصالحين» والسحرة من قوم فرعون الذين آمنوا وتهددهم بالنكال والعذاب . ولكنهم آثروا ما عند الله وتضرعوا اليه « ربنا أفرغ علينا صبراً وتوفنا مسلمين » ثم واجهوا الطاغية بثبات الايمان « فاقض ما أنت قاض . انما تقضى هذه الحياة الدنيا . انا آمنا بربنا ليغفر لنا خطايانا وما أكرهتنا عليه من السحر والله خير وأبقى . انه من يات ربه مجرما فان له جهنم لا يموت فيها ولا يحيى . ومن يأته مؤمنا قد عمل الصالحات فأولئك لهم الدرجات العلى . جنات عدن تجرى من تحتها الأنهار خالدين فيها . وذلك جزاء من تزكى » .

وكلمات هادية للنبى صلى الله عليه وسلم نستمع اليها وفيها الخير كله . روى أحمد عن جابر رضى الله عنهما سمعت النبى صلى الله عليه وسلم قبل موته بثلاث يقول « لا يموتن أحدكم الا وهو يحسن الظن بالله عز وجل » وروى أيضا « من أحب أن يزحزح عن النار ويدخل الجنة فلتدركه منيته وهو يؤمن بالله واليوم الآخر ، وليأت الى الناس ما يحب أن يؤتى اليه » وقوله صلى الله عليه وسلم « لا يتمنين أحدكم الموت لضر أصابه . ان كان لا بد فاعلا فليقل اللهم أحينى أن كانت الحياة خيراً لى . وتوفنى ان كانت الوفاة خيراً لى » مع مراعاته صلى الله عليه وسلم لفطرة الانسان فيقول من حديث الشيخين « يهرم ابن آدم ويبقى معه اثنتان الحرص والأمل » ويروى مسلم والترمذى والنسائى وأحمد عن أبى هريرة رضى الله عنه وغيره « انتهيت الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يقرأ قوله تعالى « ألهاكم التكاثر » ويقول ابن آدم مالى مالى وهل لك من مالك الا ما أكلت فأفنيت أو لبست فأبليت أو تصدقت فأمضيت . وما سوى ذلك فذاهب وتاركه الى الناس » وكأن الله تعالى الرحيم بعباده يقول لهم : أشغلكم حب الدنيا ونعيمها وزهرتها عن طلب الآخرة وابتغائها وتمادى بكم ذلك حتى جاءكم الموت وزرتم المقابر وصرتم من أهلها .

انها آية تعبر عن ذاتها . وتلقى فى النفس بمعناها ورهبتها وتدع القلب مهتما بأمر الآخرة عن أهواء الحياة الدنيا التى يفتن بها غير المؤمنين ، نعم خير الناس من أخذ من دنياه ما يعينه على مرضاة الله ويكون زادا لآخرته .

أما عن هدى الدين حول الموت وما يجب نحوه فالى مقال قادم بمشيئة الله تعالى . وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمد وعلى آله أجمعين .

أحمد طه نصر

التربية بين الأصالة والتجديد

بقلم: محمد صفوت نور الدين

— ٩ —

كان ما مضى من الحديث بيانا لما دعا اليه علماء التربية وأن للاسلام قصب السبق فيه والآن نسوق ما انفرد به الاسلام دون غيره من وسائل تربوية .

التربية بالحد (١) والتعزير (٢)

ان وضع العقوبات على المخالفات أمر اتفقت عليه الشرائع

---

(١) الحدود عقوبات جعلت لمن ركب ما نهى الشرع عنه كحد السارق وهو قطع يمينه فى ربع دينار فصاعداً .. (لسان العرب ص ٨٠٠) .

والحدود زواجر وضعها الله تعالى للردع عن ارتكاب ما حظر وترك ما أمر به لما فى الطبع من مغالبة الشهوات الملهية عن وعيد الآخرة بعاجل اللذة فجعل الله تعالى من زواجر الحدود ما يردع به ذا الجهالة حذراً من ألم العقوبة وخيفة من نكال الفضيحة ليكون ما حظر من محارمه ممنوعا وما أمر به من فروضه متبوعا فتكون المصلحة أعم والتكليف أتم (الاحكام السلطانية للماوردى) .

(٢) التعزير ضرب دون الحد لمنع الجانى من المعاودة وردعه عن المعصية (لسان العرب ص ٢٩٢٤)

والتعزير تأديب على ذنوب لم تشرع فيها الحدود ويختلف حكمه باختلاف حاله وحال فاعله فيوافق الحدود من وجه وهو انه تأديب واستصلاح وزجر يختلف بحسب اختلاف الذنب ويخالف الحدود فى ثلاثة اوجه احدها ان تأديب ذى الهيبة من اهل الصيانة اخف من

السماوية والقوانين الوضعية • بل ان الأعـراف والعادات ضمنت أيضا شيئا من العقوبات على المخالفات كذلك • الا أن الاسلام ـ دين الله الخاتم ـ له فى هذه الحدود التى سنها ميزات هامة • فاذا كانت هذه العقوبات زواجر تزجر من تسول له نفسـه أن يقع فى معصية ••• فالاسلام اذ يدعو المسلم أن يعتقد فى البعث والحساب وعرض الأعمال والوزن ، فان المسلم يعلم أنه ان أفلت من عقوبة الدنيا فلن يفلت من عقوبة الله تعالى فى الآخرة • فاذا عوقب على معصيته بالحد الذى شرعه الله رفع ذلك عنه استحقاقه للعقوبة فى الآخرة •• لحديث عبادة بن الصامت رضى الله عنه قال : كنا عنـد النبى صلى الله عليه وسلم فى مجلس فقال بايعونى على ألا تشركوا بالله شيئا ولا تسرقوا ولا تزنوا وقرأ هذه الآية كلها فمن وفى منكم فأجره على الله • ومن أصاب من ذلك شيئا فعوقب به فهو كفارة له وطهور • ومن أصاب من ذلك شيئا فستر الله عليه ان شاء غفر له وان شاء عذبه (رواه البخارى) •

ومن أقيم عليه الحد فى عقوبة لا يجوز أن يعير (بالبناء للمجهول) بها بعد ذلك بل نحسن معاملته وندعو له بالمغفرة وحسن السيرة •

فعن عمر بن الخطاب رضى الله عنه أن رجلا على عهد النبى صلى الله عليه وسلم كان اسمه عبد الله وكان يلقب حمارا وكـان يضحك رسول الله صلى الله عليه وسلم • وكان النبى صلى الله عليه وسلم قد جلده فى الشراب فأتى به يوما فأمر به فجلد فقال رجل من القوم اللهم العنه ما أكثر ما يؤتى به • فقال النبى صلى الله عليه وسلم لا تلعنوه فوالله ما علمت الا أنـه يحب الله ورسـوله (١) (رواه البخارى) •

تأديب أهل البذاءة والسفاهة لقول النبى صلى الله عليـه وسلم فيما رواه أبو داود : أقيلوا ذوى الهيئات عثراتهم (الأحكام السلطانية للماوردى)

(١) فى هذا الحديث فوائد تحتاج الى بيان : منها أن التكنية هنا ذكرت (يلقب حمارا) للتعريف لكثرة من كان يسمى عبد الله . ولعله لقب بذلك فى الجاهلية قبل الاسلام ثم سمى بعد الاسلام عبد الله كما غير

وعن أبى هريرة رضى الله عنه قال أتى النبى صلى الله عليه وسلم بسكران فأمر بضربه فمنا من يضرب بيده ومنا من يضربه بنعله ومنا من يضرب بثوبه فلما انصرف قال رجل ماله أخزاه الله ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تكونوا عون الشيطان على أخيكم (رواه البخارى) وفى رواية لأبى داود (ولكن قولوا اللهم اغفر له اللهم ارحمه) •

فالحدود الشرعية تطهير من الذنوب واصلاح للمجتمع وحماية للفضيلة وقضاء على الرذيلة • عن بريدة رضى الله عنه يروى خبر ماعز بن مالك لما جاء النبى صلى الله عليه وسلم معترفا بالزنى قال : فأمر به فرجم فكان الناس فيه فرقتين : قائل يقول لقد هلك • لقد أحاطت به خطيئته • وقائل يقول ما توبة أفضل من توبة ماعز انه جاء الى النبى صلى الله عليه وسلم فوضع يده فى يده ثم قال اقتلنى بالحجارة• قال : فلبثوا بذلك يومين أو ثلاثة ثم جاء رسول الله صلى الله عليه وسلم وهم جلوس فسلم ثم جلس فقال استغفروا لماعز بن مالك • قال : فقالوا غفر الله لماعز بن مالك • قال فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لقد تاب توبة لو قسمت بين أمة لوسعتهم •••••

وساق أيضا خبر الغامدية التى جاءت تعترف بالزنى حتى قال : وأمر الناس فرجموها فيقبل خالد بن الوليد بحجر فيرمى رأسها

النبى صلى الله عليه وسلم غيره من الاسماء . ومنها (كان يضحك رسول الله صلى الله عليه وسلم)حيث كان يهدى النبى صلى الله عليه وسلم السمن والعسل فاذا جاءصاحبها يطلب ثمنها ذهب به الى رسول الله فقال له اعط هذا ثمن متاعه . فما يزيد رسول الله صلى الله عليه وسلم على أن يتبسم ويعطيه الثمن . وفيه عدم جواز تعيين المطلق فى الوعيد من اللعن والتكفير وغيره . فمع ان حديث أنس عند الترمذى قال لعن رسول اللهصلى الله عليه وسلم فى الخمر عشرة (عاصرها ومعتصرها وشاربهاوحاملها والمحمولة اليه وساقيها وبائعها وآكل ثمنها والمشترى لهاوالمشتراة له) الا أن النبى صلى الله عليه وسلم نهى عن لعن هذا الرجل (يراجع فى ذلك مقال تكفير المعين. عدد شوال سنة ١٤٠٣ لابن تيمية)

فتنضح الدم على وجه خالد فسبها فسمع نبى الله صلى الله عليه وسلم سبه اياها فقال : مهلا يا خالد فوالذى نفسى بيده لقد تابت توبة لو تابها صاحب مكس (١) لغفر له (رواه مسلم) (٢) .

والحدود الشرعية من عند الله فيتساوى فيها الشريف والوضيع. فلقد سرقت امرأة من بنى مخزوم . فذهب رجال من قريش يشفعون لها فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم نتطهر خير لها . وكان هينا فى رده عليهم ليتا فى قوله اليهم حتى ظنوا أن لو كان الشافع غيرهم ممن يحبهم النبى صلى الله عليه وسلم لقبل منه . فتروى عائشة رضى الله عنها أن قريشا أهمهم شأن المرأة التى سرقت فى عهد النبى صلى الله عليه وسلم فى غزوة الفتح فقالوا من يكلم فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ فقالوا ومن يجترى عليه الا أسامة ابن زيد حب رسول الله صلى الله عليه وسلم فأتى بها رسول الله صلى الله عليه وسلم فكلمه فيها أسامة بن زيد فتلون وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال أتشفع فى حد من حدود الله ؟ فقال أسامة استغفر لى يا رسول الله . فلما كان العشى قام رسول الله صلى الله عليه وسلم فاختطب فأثنى على الله بما هو أهله ثم قال : أما بعد فانما أهلك الذين من قبلكم أنهم كانوا اذا سرق فيهم الشريف تركوه واذا سرق فيهم الضعيف أقاموا عليه الحد . وانى والذى نفسى بيده لو أن فاطمة بنت محمد سرقت لقطعت يدها . ثم أمر بتلك المرأة التى سرقت فقطعت يدها . قالت عائشة : فحسنت توبتها بعد وتزوجت وكانت تأتينى بعد ذلك فأرفع حاجتها الى رسول الله صلى الله عليه وسلم (رواه البخارى ومسلم واللفظ له) . وجاء أنها كانت تقول ليدها تبا لك كنت ستأخذيننى الى النار .

---

(١) صاحب مكس (بفتح الميم وسكون الكاف) هو من يأخذ الأموال بغير حقها ويصرفها فى غير وجهها وهذا من اقبح المعاصى وذلك لكثرة مطالبات الناس له وظلاماتهم عنده وتكرر ذلك منه . وفيه حديث ابى داود (لا يدخل الجنة صاحب مكس) (٢) حديثا بريدة عند مسلم طويلان قد اقتطفت ذلك منهما فليراجعا .

هذا والحدود الشرعية حماية لأعراض الشرفاء من أهل العبث • فان عمر بن الخطاب رضى الله عنه لما جاءه أربعة شهداء على المغيرة ابن شعبة يرمونه بالزنى بامرأة ، فلما اختلفت شهادتهم جلد عمر ثلاثة منهم كل واحد ثمانين جلدة وترك الرابع لأنه لم يشاركهم فى الشهادة •

ولقد روى أن رجلين استبا فى زمن عمر فقال أحدهما للآخر (ما أنا بزان ولا أمى بزانية) فاستشار عمر الصحابة فى قضيتهما فقال بعضهم مدح أباه وأمه • وقال الآخرون أما كان لأبيه وأمه مدح غير هذا ؟ فجلده عمر ثمانين جلدة (١) •

يقول شيخ الاسلام ابن تيمية ولا يجوز أن يؤخذ من الزانى أو السارق أو الشارب أو قاطع الطريق ونحوهم مال تعطل به الحدود لا لبيت المال ولا لغيره ، وهـذا المال المأخوذ لتعطيل الحد سحت خبيث ، واذا فعل ولى الأمر ذلك فقد جمع فسادين عظيمين : أحدهما تعطيل الحد ، والثانى أكل السحت ، فترك الواجب وفعل المحرم • قال تعالى : (لولا ينهاهم الربانيون والأحبار عن قولهم الاثم وأكلهم السحت لبئس ما كانوا يصنعون) • وقال تعالى عن اليهود (سماعون للكذب أكالون للسحت) لأنهم كانوا يأكلون السحت من الرشوة التى تسمى البرطيل (٢) وتسمى أحيانا الهدية وغيرها • ومتى أكل السحت ولى الأمر احتاج أن يسمع الكذب فى شهادة الزور وغيرها وقد لعن رسـول الله صلى الله عليه وسلم الراشى والمرتشى والرائش — الواسطة — الذى بينهما (رواه أصحاب السنن) •

وفى الصحيحين (أن رجلين اختصما الى النبى صلى الله عليه وسلم فقال أحدهما : يا رسول الله اقض بيننا بكتاب الله • فقـال صاحبه — وكان أفقه منه — : نعم يا رسول الله ! اقض بيننا بكتاب

---

(١) القصتان من تفسير المودودى لسورة النور نسبهما للجصاص فى أحكام القرآن •

(٢) البرطيل هو الحجر المستطيل سميت به الرشوة لأنها تلقم المرتشى فيسكت عن التكلم بالحق كما يلقمه الحجر الطويل •

الله ، وائذن لى فقال : قل • فقال : ان ابنى كان عسيفا فى أهل هذا — يعنى أجيرا — فزنى بامرأته ، فافتديت منه بمائة شاة وخادم وانى سألت رجالا من أهل العلم فأخبرونى أن على ابنى جلد مائة وتغريب عام ، وأن على امرأة هذا الرجم • فقال : والذى نفسى بيده لأقضين بينكما بكتاب الله : المائة والخادم رد عليك • وعلى ابنك جلد مائة وتغريب عام ، واغد يا أنيس على امرأة هذا فاسألها فان اعترفت فارجمها • فسألها فاعترفت فرجمها) •

ففى هذا الحديث أنه لما بذل عن المذنب هذا المال لدفع الحد عنه أمر النبى صلى الله عليه وسلم بدفع المال الى صاحبه وأمر باقامة الحد • ولم يأخذ المال للمسلمين • وقد أجمع المسلمون على أن تعطيل الحد بمال يؤخذ أو غيره لا يجوز • وأجمعوا على أن المال المأخوذ من الزانى والسارق والشارب والمحارب وقاطع الطريق ونحو ذلك لتعطيل الحد مال سحت خبيث • وكثير مما يوجد من فساد أمور الناس انما هو لتعطيل الحد بمال أو جاه (انتهى كلام ابن تيمية من السياسة الشرعية) •

فهذه حدود الاسلام أقامها الله حماية للوجود الانسانى • فهى تربية وتقويم يخافها من فى طبعه ميل يغالبه نحو المعصية • وهى كذلك تفتح باب الجنة لمن وقع فيها ان صدقت توبته بعدها • والله سبحانه قد أقامها على حرمات النفس والمجتمع :

فحد الردة حماية لحرمة الدين ، وحد القتل والقصاص حماية لحرمة النفس ، وحد الخمر حماية لحرمة العقل ، وحد الزنى والقذف حماية لحرمة الأعراض ، وحد السرقة حماية لحرمة المال ، وحد الحرابة لمن تسول لهم أنفسهم أن يشكلوا العصابات التى تنتهك سائر حرمات المجتمع وهى أشدها وأقساها وهى المذكورة فى قوله تعالى (انما جزاء الذين يحاربون الله ورسوله ويسعون فى الأرض فسادا أن يقتلوا ، أو يصلبوا ، أو تقطع أيديهم وأرجلهم من خلاف ، أو ينفوا من الأرض، ذلك لهم خزى فى الدنيا ولهم فى الآخرة عذاب عظيم) المائدة ٣٣

وللحديث بقية

محمد صفوت نور الدين

تحت راية التوحيد

بقلم فضيلة الشيخ عبد اللطيف محمد بدر

المحاسبة

وتوحيد الله عز وجل يقتضى أن يحاسب العبد نفسه :

● هل هو مؤمن بالله حقا ، ومسلم له صدقا ، ومحسن فى عبادته لخالقه ورازقه ومالك أمره ، واليه المرجع والمآب ؟

● وهل هو مستقيم على طاعة الله يحكم شرعه الذى شرعه لعباده، ويطبق منهاجه الذى وضعه لخلقه ، ويعمل ليوم معاده ؟

أم هو متبع لهواه سادر فى غيه غرته الحياة الدنيا وغره بالله الغرور ؟ .

● وقد أمرنا الله تبارك وتعالى أن نحاسب أنفسنا ، وأن نراجعها ، ونتفقد أحوالها ، وننظر ماذا عملت من خير فى دنياها ، وما تزودت به من تقوى الله عز وجل لأخراها ، وأن لا نكون من الغافلين الذين نسوا لقاء الله ، فأنساهم أنفسهم ، فتركوا لها الحبل على الغارب حتى فسقوا عن أمر الله ، وخرجوا على طاعته فكانوا من أصحاب السعير وذلك هو الخسران المبين .

قال الله تعالى : (يأيها الذين آمنوا اتقوا الله ولتنظر نفس ما قدمت لغد واتقوا الله ان الله خبير بما تعملون . ولا تكونوا كالذين نسوا الله فأنساهم أنفسهم أولئك هم الفاسقون . لا يستوى أصحاب النار وأصحاب الجنة أصحاب الجنة هم الفائزون) الآيات ١٨ — ٢٠ — الحشر .

وروى الترمذى رحمه الله عن أبى يعلى شداد بن أوس رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم قال : (الكيس من دان نفسه وعمل لما بعد الموت ، والعاجز من اتبع نفسه هواها وتمنى على الله الأمانى) .

أى : العاقل الفطن الذى يحاسب نفسه ، ويقدم من العمل الصالح ما ينفعها بعد موتها ، والعاجز الضعيف هو الذى يتركها تتخبط فى غفلاتها وترتع فى شهواتها ، ويتمنى أن ينجيها الله من عذابه وهيهات فالله تعالى يقول : (ليس بأمانيكم ولا أمانى أهل الكتاب من يعمل سوءاً يجز به ولا يجد له من دون الله وليا ولا نصيرا . ومن يعمل

من الصالحات من ذكر أو أنثى وهو مؤمن فأولئك يدخلون الجنة ولا يظلمون نقيرا) الآيتان ١٢٣ ، ١٢٤ — النساء .

وقد أثر عن أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضى الله عنه قوله : حاسبوا أنفسكم قبل أن تحاسبوا ، وزنوا أعمالكم قبل أن توزن عليكم ، وتزينوا للعرض الأكبر ، يوم تعرضون لا تخفى منكم خافية . أو قريبا من هذا .

● وأول المحاسبة أن يقارن العبد بين نعم الله عز وجل عليه التى لا تعد ولا تحصى (وما بكم من نعمة فمن الله) الآية ٥٣ — النحل — وبين تفريطه فى جنب الله ، وجحوده لنعمه ، وعصيانه لأمره وعدم قيامه بشكره .

فيظهر له حينئذ الفرق الهائل بين ما أنعم الله به عليه ، وبين ما قابل به هذه النعم من جحود ونكران ، وغفلة وعصيان ، فيعلم أى جناية جناها فى حق نفسه ، وأى ظلم أوقعه بها (وما ظلمهم الله ولكن كانوا أنفسهم يظلمون) الآية ٣٣ — النحل .

● وهذا يحمله — ان أراد الله له الهداية — على أن يقف لنفسه بالمرصاد ، ويراجعها مراجعة دقيقة ، ويلزمها الجادة ، وأن تعرف قدرها ، وأنه لا نجاة لها الا بالعبودية الخالصة لله رب العالمين ، ويكثر من أن يقول : (اللهم أنت ربى لا اله الا أنت خلقتنى وأنا عبدك ، وأنا على عهدك ووعدك ما استطعت . أعوذ بك من شر ما صنعت ، أبوء لك بنعمتك على ، وأبوء بذنبى فاغفر لى فانه لا يغفر الذنوب الا أنت) .

فهذه الكلمات هى سيد الاستغفار كما سماها رسول الله صلى الله عليه وسلم فى الحديث الذى رواه البخارى رحمه الله عن أبى هريرة رضى الله عنه . وقال فى آخره : (من قالها بالنهار موقنا بها فمات من يومه قبل أن يمسى فهو من أهل الجنة ، ومن قالها من الليل وهو موقن بها فمات قبل أن يصبح فهو من أهل الجنة) .

ومعنى أبوء : أقر وأعترف ، فاذا أقر العبد واعترف بنعمة الله وأقر واعترف مع ذلك بذنبه لتقصيره فى شكر هذه النعمة ، وأقر واعترف مع ذلك بربوبية الله وانه عبده وأنه على عهده ووعده بأن يعبده وحده وأن لا يتخذ من دونه الأنداد والشركاء كما قال تعالى : (ألم أعهد اليكم يا بنى آدم أن لا تعبدوا الشيطان انه لكم عدو مبين . وأن اعبدونى هذا صراط مستقيم) الآيتان ٦٠ ، ٦١ يس . ويقول : (ومالى لا أعبد الذى فطرنى واليه ترجعون . أأتخذ من دونه آلهة ان يردن الرحمن بضر لا تغن عنى شفاعتهم شيئا ولا ينقذون . انى اذا لفى ضلال مبين . انى آمنت بربكم فاسمعون) الآيات ٢٢ — ٢٥ — يس .

أقول : اذا أقر العبد واعترف بذلك فانه بدأ يحاسب نفسه وينظر ماذا قدمت لغد .

● ومحاسبة النفس ومراجعتها

وسيلة الى تزكيتها وتطهيرها . وحينئذ تكون قد أخذت تسير فى طريق المفلحين . قال الله تعالى : (ونفس وما سواها فألهمها فجورها وتقواها. قد أفلح من زكاها وقد خاب من دساها) الآيات ٧ ــ ١٠ ــ الشمس

● ولا بد لتكون محاسبة العبد لنفسه صحيحة ، ومراجعته اياها سليمة ، من أن يعرض نفسه وأعماله على كتاب الله عز وجل وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم من حين لآخر. فهما المعيار الصحيح والميزان العادل الذى به يميز الحق من الباطل فى الاعتقاد ، والخير من الشر فى الأعمال ، والصواب من الخطأ فى الأقوال ، والخبيث من الطيب فى جميع الأحوال . فالله تعالى يقول : (فان تنازعتم فى شىء فردوه الى الله والرسول ان كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر ذلك خير وأحسن تأويلا) الآية ٥٩ ــ النساء . وهو صادق على نزاعه مع غيره أو نزاعه مع نفسه ، وان لم يفعل ضل سعيه وهو يظن أنه فى طريق الهدى فيكون من الذين قال الله عنهم : (قل هل ننبئكم بالأخسرين أعمالا الذين ضل سعيهم فى الحياة الدنيا وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعا) الآية ١٠٤ ــ الكهف .

● وذلك كهؤلاء النفر الذين أرادوا أن يحملوا أنفسهم على الجد فى عبادة الله بعد أن اتهموها بالتقصير فى ذلك فلم يرضوا بما كان يفعله الرسول صلى الله عليه وسلم واعتبروا ذلك قليلا بالنسبة لهم لأن رسول الله صلى الله عليه وسلم ليس فى حاجة الى كثير من العبادة لأن الله تعالى قد غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر .

فعن أنس رضى الله عنه قال : (جاء ثلاثة رهط الى بيوت أزواج النبى صلى الله عليه وسلم يسألون عن عبادة النبى صلى الله عليه وسلم. فلما أخبروا كأنهم تقالوها ــ أى عدوها قليلة ــ وقالوا : أين نحن من النبى صلى الله عليه وسلم وقد غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر . قال أحدهم : أما أنا فأصلى الليل أبدا ، وقال الآخر : وأنا أصوم الدهر أبدا ولا أفطر ، وقال الآخر : وأنا أعتزل النساء فلا أتزوج أبدا . فجاء رسول الله صلى الله عليه وسلم اليهم فقال : (أنتم الذين قلتم كذا وكذا ، أما والله انى لأخشاكم لله وأتقاكم له ، لكنى أصوم وأفطر وأصلى وأرقد وأتزوج النساء فمن رغب عن سنتى فليس منى) فتبرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم ممن رغب عن سنته ولم يرض بحكمها والله تعالى يقول : (فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا فى أنفسهم حرجا مما قضيت ويسلموا تسليما) الآية ٦٥ ــ النساء .

● ومما يعين العبد على محاسبة نفسه ومراجعتها من حين لآخر لتستقيم على منهج الله وتلتزم بشريعة الله وتقف عند حدوده لا تتعداها أن يعلم أن ربه له بالمرصاد وأنه يحصى عليه أعماله ويكتب أقواله

ويطلع على جميع أحواله لا تخفى منه على الله خافية ، وأن مرده اليه ، وحسابه عليه فى يوم لا ينفع فيه حميم حميما ، ولا تقبل فيه شفاعة الشافعين . وان كان قد غره من الله حلمه عليه فى الدنيا فانما يؤخره ليوم تشخص فيه الأبصار ، وتضطرب فيه القلوب (يوم تأتى كل نفس تجادل عن نفسها وتوفى كل نفس ما عملت وهم لا يظلمون) الآية ١١١ — النحل . (يوم يبعثهم الله جميعا فينبئهم بما عملوا أحصاه الله ونسوه والله على كل شىء شهيد) الآية ٦ — المجادله — (يوم تجد كل نفس ما عملت من خير محضرا وما عملت من سوء تود لو أن بينها وبينه أمدا بعيدا ويحذركم الله نفسه والله رءوف بالعباد) الآية ٣٠ — آل عمران .

● وليعلم العبد أن موازين الله دقيقة وأنه أسرع الحاسبين . قال الله تعالى : (ونضع الموازين القسط ليوم القيامة فلا تظلم نفس شيئا وان كان مثقال حبة من خردل أتينا بها وكفى بنا حاسبين) الآية ٤٧ — الأنبياء .

● وان شهود الله عدول وانهم يعلمون عن العبد كل شىء كما قال تعالى : (وان عليكم لحافظين كراما كاتبين يعلمون ما تفعلون) الآيات ١٠ — ١٢ — الانفطار — (ويوم تقوم الساعة يومئذ يخسر المبطلون . وترى كل أمة جاثية كل أمة تدعى الى كتابها اليوم تجزون ما كنتم تعملون . هذا كتابنا ينطق عليكم بالحق انا كنا نستنسخ ما كنتم تعملون) الآيات ٢٧ — ٢٩ — الجاثية .

● بل ان جوارحه لتشهد عليه بما عملت ، فكيف الخلاص من ذلك . قال الله تعالى : (حتى اذا ما جاءوها شهد عليهم سمعهم وأبصارهم وجلودهم بما كانوا يعملون . وقالوا لجلودهم لم شهدتم علينا قالوا أنطقنا الله الذى أنطق كل شىء وهو خلقكم أول مرة واليه ترجعون . وما كنتم تستترون أن يشهد عليكم سمعكم ولا أبصاركم ولا جلودكم ولكن ظننتم أن الله لا يعلم كثيرا مما تعملون . وذلكم ظنكم الذى ظننتم بربكم أرداكم فأصبحتم من الخاسرين . فان يصبروا فالنار مثوى لهم وان يستعتبوا فما هم من المعتبين) الآيات ٢٠ — ٢٤ — فصلت .

● فالواجب على المسلم أن يكون على ذكر من يوم الحساب دائما ويعد له عدته ويأخذ له أهبته ويتزود له بعمل صالح ينفعه قبل : (أن تقول نفس يا حسرتى على ما فرطت فى جنب الله وان كنت لمن الساخرين . أو تقول لو أن الله هدانى لكنت من المتقين أو تقول حين ترى العذاب لو أن لى كرة فأكون من المحسنين) الآيات ٥٦ — ٥٨ — الزمر .

● فلتكن لنا جلسات نحاسب فيها انفسنا ، ونراجع فيها أعمالنا ، ونعرضها على كتاب ربنا وسنة نبينا صلى الله عليه وسلم حتى نكون من المحسنين ، والحديث موصول ان شاء الله .

عبد اللطيف محمد بدر